فمن نظر فيها وأراد إبانة ما ذكروه من الشبه فإنه يسير .

فإذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود ، فكيف تطيب نفس مؤمن ـ بل نفس عاقل ـ أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين ، والصديقين، والشهداء ، والصالحين ؟!

/ فصـــل ٥/٢٦

ثم القول الشامل، في جميع هذا الباب :أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ، وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث .

قال الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ :لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسوله ﷺ ،لا يتجاوز القرآن والحديث .

ومذهب السلف : أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم ، وأفصح الخلق في البيان والتعريف ، والدلالة والإرشاد .

وهو ـ سبحانه ـ مع ذلك ليس كمثله شيء ، لا في نفسه المقدسة المذكورة بأسمائه وصفاته،ولا في أفعاله ، فكما نتيقن أن الله ـ سبحانه ـ له ذات حقيقة ، وله أفعال حقيقة، فكذلك له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شيء لا في ذاته ، ولا في صفاته،ولا في أفعاله ، وكل ما أوجب نقصاً أو حدوثاً فإن الله منزه عنه حقيقة ، فإنه ـ سبحانه ـ مستحق للكمال الذي لا غاية فوقه،ويمتنع عليه الحدوث لامتناع العدم /عليه،واستلزام ٥/٢٧
الحدوث سابقة العدم،ولافتقار المحدَث إلى محدِث ،ولوجوب وجوده بنفسه ـ سبحانه وتعالى .

ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل ، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه ، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ووصفه به رسوله ، فيعطلوا أسماءه الحسنى ، وصفاته العليا ، ويحرفوا الكلم عن مواضعه ، ويلحدوا في أسماء الله وآياته .

وكل واحد من فريقي التعطيل والتمثيل ، فهو جامع بين التعطيل والتمثيل ، أما المعطلون فإنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما هو اللائق بالمخلوق ، ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات ؛ فقد جمعوا بين التعطيل والتمثيل ، مثلوا أولاً وعطلوا آخراً ، وهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم من أسمائه وصفاته بالمفهوم من أسماء خلقه وصفاتهم ، وتعطيل لما يستحقه هو ـ سبحانه ـ من الأسماء والصفات اللائقة بالله ـ سبحانه وتعالى .

فإنه إذا قال القائل : لو كان الله فوق العرش، للزم إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغرأو مساويا ، وكل ذلك من المحال ، ونحو ذلك من الكلام ؛ فإنه لم يفهم من كون الله على العرش إلا ما يثبت لأي جسم كان على أي جسم كان ، وهذا اللازم تابع لهذا المفهوم ، إما استواء يليق بجلال الله ـ تعالى ـ ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الباطلة ، التي يجب نفيها ، كما يلزم من سائر الأجسام ، وصار هذا مثل قول الممثل : إذا
٥/٢٨ كان للعالم صانع ، فإما أن/ يكون جوهراً أو عرضاً ، وكلاهما محال ؛ إذ لا يعقل موجود إلا هذان. وقوله : إذا كان مستوياً على العرش فهو مماثل لاستواء الإنسان على السرير أو الفلك ؛ إذ لا يعلم الاستواء إلا هكذا، فإن كليهما مثل، وكليهما عطل حقيقة ما وصف الله به نفسه ، وامتاز الأول بتعطيل كل اسم للاستواء الحقيقي ، وامتاز الثاني بإثبات استواء هو من خصائص المخلوقين .

والقول الفاصل : هو ما عليه الأمة الوسط ، من أن الله مستو على عرشه استواءً يليق بجلاله ، ويختص به، فكما أنه موصوف بأنه بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير ، ونحو ذلك .

ولا يجوز أن يثبت للعلم والقدرة خصائص الأعراض التي لعلم المخلوقين وقدرتهم، فكذلك هو ـ سبحانه ـ فوق العرش، ولا يثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها.

واعلم أنه ليس في العقل الصريح ،ولا في شيء من النقل الصحيح ،ما يوجب مخالفة الطريقة السلفية أصلا، لكن هذا الموضع لا يتسع للجواب عن الشبهات الواردة على الحق، فمن كان في قلبه شبهة وأحب حلها، فذلك سهل يسير .

ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة ـ من المتأولين لهذا الباب ـ في أمر مريج، فإن من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها ، وأنه مضطر فيها إلى التأويل ، ومن يحيل
٥/٢٩ أن لله علما وقدرة ، وأن يكون كلامه غير مخلوق ونحو/ ذلك يقول : إن العقل أحال ذلك فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد والأكل والشرب الحقيقي في

الجنة، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل ، ومن يزعم أن الله ليس فوق العرش، يزعم أن العقل أحال ذلك، وأنه مضطر إلى التأويل .

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء، أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله .

فياليت شعري، بأى عقل يوزن الكتاب والسنة ؟! فرضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال : أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل، تركنا ما جاء به جبريل إلى محمد ﷺ لجدل هؤلاء .

وكل من هؤلاء مخصوم بما خصم به الآخر وهو من وجوه :

أحدها: بيان أن العقل لا يحيل ذلك .

والثاني : أن النصوص الواردة لا تحتمل التأويل .

والثالث: أن عامة هذه الأمور قد علم أن الرسول ﷺ جاء بها بالاضطرار ، كما أنه جاء بالصلوات الخمس ، وصوم شهر رمضان ، فالتأويل الذي يحيلها عن هذا بمنزلة تأويل القرامطة والباطنية ، في الحج والصلاة والصوم وسائر ماجاءت به النبوات .

الرابع : أن يبين أن العقل الصريح يوافق ما جاءت به النصوص، وإن / كان في ٥/٣٠
النصوص من التفصيل ما يعجز العقل عن درك التفصيل ، وإنما يعلمه مجملا إلى غير ذلك من الوجوه. على أن الوجوه الأساطين من هؤلاء الفحول ، معترفون بأن العقل لا سبيل له إلى إليقين في عامة المطالب الإلهية .

وإذا كان هكذا ، فالواجب تلقي علم ذلك من النبوات ، على ما هو عليه ، ومن المعلوم للمؤمنين أن الله ـ تعالى ـ بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ، وأنه بين للناس ما أخبرهم به من أمور الإيمان بالله واليوم الآخر

والإيمان بالله واليوم الآخر يتضمن الإيمان بالمبدأ والمعاد ، وهو الإيمان بالخلق والبعث، كما جمع بينهما في قوله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾[البقرة:٨] وقال تعالى: ﴿**مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ**﴾ [لقمان :٢٨] وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ** ﴾[الروم :٢٧]،وقد بين الله على لسان رسوله ﷺ من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر ما هدى الله به عباده، وكشف به مراده .

ومعلوم للمؤمنين أن رسول اللهﷺ أعلم من غيره بذلك، وأنصح من غيره للأمة،

وأفصح من غيره عبارة وبياناً ، بل هو أعلم الخلق بذلك وأنصح الخلق للأمة، وأفصحهم، فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة .

ومعلوم أن المتكلم ، أو الفاعل ، إذا كمل علمه وقدرته وإرادته ، / كمل كلامه ٥/٣١
وفعله، وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه ، وإما من عجزه عن بيان علمه ، وإما لعدم إرادته البيان .

والرسول هو الغاية في كمال العلم ،والغاية في كمال إرادة البلاغ المبين ،والغاية في قدرته على البلاغ المبين ـ ومع وجود القدرة التامة ، والإرادة الجازمة ، يجب وجود المراد، فعلم قطعاً أن ما بينه من أمر الإيمان باللّه واليوم الآخر حصل به مراده من البيان، وما أراده من البيان فهو مطابق لعلمه ، وعلمه بذلك أكمل العلوم ، فكل من ظن أن غير الرسول أعلم بهذا منه ، أو أكمل بياناً منه ، أو أحرص على هدي الخلق منه، فهو من الملحدين لا من المؤمنين .

والصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن سلك سبيلهم في هذا الباب ، على سبيل الاستقامة .

وأما المنحرفون عن طريقهم ، فهم « ثلاث طوائف »:أهل التخييل ،وأهل التأويل، وأهل التجهيل .

فأهل التخييل : هم المتفلسفة ومن سلك سبيلهم ، من متكلم ومتصوف ومتفقه. فإنهم يقولون : إن ما ذكره الرسول من أمر الإيمان باللّه واليوم الآخر إنما هو تخييل للحقائق لينتفع به الجمهور، لا أنه بين به الحق، ولا هدى به الخلق ، ولا أوضح به الحقائق .

ثم هم على قسمين : منهم من يقول : إن الرسول لم يعلم الحقائق على ما هي
عليه. ويقولون : إن من الفلاسفة الإلهية من علمها ، وكذلك من الأشخاص / الذين ٥/٣٢
يسمونهم الأولياء من علمها ، ويزعمون أن من الفلاسفة والأولياء من هو أعلم باللّه واليوم الآخر من المرسلين،وهذه مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة والباطنية؛باطنية الشيعة وباطنية الصوفية .

ومنهم من يقول :بل الرسول علمها لكن لم يبينها ، وإنما تكلم بما يناقضها ، وأراد من الخلق فهم ما يناقضها ؛ لأن مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات التي لا تطابق الحق.

ويقول هؤلاء :يجب على الرسول أن يدعو الناس إلى اعتقاد التجسيم مع أنه باطل، وإلى اعتقاد معاد الأبدان مع أنه باطل ،ويخبرهم بأن أهل الجنة يأكلون ويشربون مع أن

ذلك باطل ، قالوا : لأنه لا يمكن دعوة الخلق إلا بهذه الطريقة ، التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد ، فهذا قول هؤلاء في نصوص الإيمان بالله واليوم الآخر .

وأما الأعْمال فمنهم من يقرها ، ومنهم من يجريها هذا المجرى ، ويقول : إنما يؤمر بها بعض الناس دون بعض ، ويؤمر بها العامة دون الخاصة ، فهذه طريقة الباطنية الملاحدة، والإسماعيلية ونحوهم .

وأما أهل التأويل ، فيقولون :إن النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل ، ولكن قصد بها معاني ، ولم يبين لهم تلك المعاني ، ولا دلهم عليها ، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ، ثم يجتهدوا في صرف تلك
٥/٣٣ النصوص عن مدلولها ، ومقصوده امتحانهم وتكليفهم ،/ وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ، ويعرف الحق من غير جهته ، وهذا قول المتكلمة، والجهمية والمعتزلة ، ومن دخل معهم في شيء من ذلك .

والذين قصدنا الرد في هذه الفتيا عليهم هم هؤلاء؛ إذ كان نفور الناس عن الأولين مشهوراً ،بخلاف هؤلاء فإنهم تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة،وهم ـ في الحقيقة ـ لا للإسلام نصروا ،ولا للفلاسفة كسروا ، لكن أولئك الملاحدة ألزموهم في النصوص ـ نصوص المعاد ـ نظير ما ادعوه في نصوص الصفات .فقالوا لهم: نحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بمعاد الأبدان ، وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه .

وأهل السنة يقولون لهم : ونحن نعلم بالاضطرار أن الرسل جاءت بإثبات الصفات. ونصوص الصفات في الكتب الإلهية أكثر وأعظم من نصوص المعاد.ويقولون لهم : معلوم أن مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون المعاد ، وقد أنكروه على الرسول، وناظروه عليه، بخلاف الصفات فإنه لم ينكر شيئاً منها أحد من العرب .

فعلم أن إقرار العقول بالصفات أعظم من إقرارها بالمعاد ،وأن إنكار المعاد أعظم من إنكار الصفات،فكيف يجوز مع هذا أن يكون ما أخبر به من الصفات ليس كما أخبر به، وما أخبر به من المعاد هو على ما أخبر به ؟!

٥/٣٤ /وأيضاً ، فقد علم أنه ﷺ قد ذم أهل الكتاب على ما حرفوه وبدلوه ، ومعلوم أن التوراة مملوءة من ذكر الصفات ، فلو كان هذا مما بدل وحرف لكان إنكار ذلك عليهم أولى، فكيف وكانوا إذا ذكروا بين يديه الصفات يضحك تعجباً منهم وتصديقاً لها ؟! ولم يعبهم قط بما تعيب النفاة أهل الإثبات،مثل لفظ التجسيم والتشبيه ونحو ذلك؛بل عابهم بقولهم: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾[المائدة: ٦٤]،وقولهم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾

[آل عمران: ١٨١] ،وقولهم : إنه استراح لما خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

والتوراة مملوءة من الصفات المطابقة للصفات المذكورة في القرآن والحديث، وليس فيها تصريح بالمعاد كما في القرآن . فإذا جاز أن تتأول الصفات التي اتفق عليها الكتابان فتأويل المعاد الذي انفرد به أحدهما أولى ، والثاني مما يعلم بالاضطرار من دين الرسول أنه باطل، فالأول أولى بالبطلان .

وأما الصنف الثالث ـ وهم « **أهل التجهيل** » ـ فهم كثير من المنتسبين إلى السنة ، واتباع السلف، يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ، ولا جبريل يعرف معاني الآيات ، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك .

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات : إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بها ابتداءً ، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه .

/ وهؤلاء يظنون أنهم اتبعوا قوله تعالى: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٧] ، ٥/٣٥
فإنه وقف أكثر السلف على قوله: ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ** ﴾ . وهو وقف صحيح ، لكن لم يفرقوا بين معنى الكلام وتفسيره، وبين «التأويل» الذي انفرد الله ـ تعالى ـ بعلمه، وظنوا أن التأويل المذكور في كلام الله ـ تعالى ـ هو « التأويل » المذكور في كلام المتأخرين، وغلطوا في ذلك . فإن لفظ « التأويل » يراد به ثلاثة معان :

فالتأويل في اصطلاح كثير من المتأخرين هو: صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن[1] بذلك ، فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهره تأويلاً على اصطلاح هؤلاء، وظنوا أن مراد الله ـ تعالى ـ بلفظ التأويل ذلك ، وأن للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه إلا الله ولا يعلمه المتأولون .

ثم كثير من هؤلاء يقولون : تجري على ظاهرها ، فظاهرها مراد مع قولهم : إن لها تأويلا بهذا المعنى لا يعلمه إلا الله، وهذا تناقض وقع فيه كثير من هؤلاء المنتسبين إلى السنة: من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم .

والمعنى الثاني: أن التأويل هو : تفسير الكلام ـ سواء وافق ظاهره أو لم يوافقه ـ وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين، وغيرهم . وهذا التأويل يعلمه الراسخون في العلم، وهو موافق لوقف من وقف من/ السلف على قوله : ﴿ **وَمَا يَعْلَمُ** ٥/٣٦

(١) في المطبوعة : « يقتر» والصواب ما أثبتناه.

تَأْوِيلَهُ إِلا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٧]، كما نقل ذلك عن ابن عباس، ومجاهد، ومحمد بن جعفر بن الزبير، ومحمد بن إسحاق، وابن قتيبة وغيرهم، وكلا القولين حق باعتبار. كما قد بسطناه في موضع آخر؛ ولهذا نقل عن ابن عباس هذا وهذا، وكلاهما حق.

والمعنى الثالث: أن التأويل هو: الحقيقة التي يؤول الكلام إليها ـ وإن وافقت ظاهره ـ فتأويل ما أخبر الله به في الجنة ـ من الأكل والشرب واللباس والنكاح وقيام الساعة وغير ذلك ـ هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان، ويعبر عنه باللسان، وهذا هو التأويل في لغة القرآن، كما قال تعالى عن يوسف أنه قال: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾[يوسف : ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، وقال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ [النساء: ٥٩] .

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه إلا الله .

وتأويل « الصفات » هو الحقيقة التي انفرد الله ـ تعالى ـ بعلمها ، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف ـ كمالك وغيره ـ: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، فالاستواء معلوم ـ يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى ـ وهو من/ التأويل الذي يعلمه ٥ / ٣٧
الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله ـ تعالى.

وقد روى عن ابن عباس ـ ما ذكره عبد الرزاق وغيره في تفسيرهم عنه ـ أنه قال: تفسير القرآن على أربعة أوجه : تفسير تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وتفسير لا يعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ فمن ادعى علمه فهو كاذب .

وهذا كما قال تعالى: ﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة : ١٧]، وقال النبي ﷺ : « يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عَيْن رأت، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ، ولا خَطَر على قَلْب بَشَر» (١).

---

(١) البخاري في التوحيد (٨٤٩٨)، ومسلم في الجنة (٢٨٢٤ / ٢-٥)، وابن ماجه في الزهد (٤٣٢٨)، وأحمد ٢/ ٣١٣، ٣٧٠ عن أبي هريرة.

وكذلك عِلْم وقت الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا اللّه ـ تعالى.

وإن كنا نفهم معاني ما خوطبنا به ، ونفهم من الكلام ما قصد إفهامنا إياه ، كما قال تعالى : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾ [محمد: ٢٤]، وقال : ﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ** ﴾[المؤمنون: ٦٨] فأمر بتدبر القرآن كله لا بتدبر بعضه .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن ـ عثمان بن عفان، وعبد اللّه بن مسعود، وغيرهما ـ أنهم كانوا إذا تعلموا من النبيﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل، قالوا: فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

٥/٣٨ / وقال مجاهد: عرضت المصحف على ابن عباس ـ رضي اللّه عنهما ـ من فاتحته إلى خاتمته ، أقف عند كل آية وأسأله عنها .

وقال الشعبي : ما ابتدع أحد بدعة إلا وفي كتاب اللّه بيانها. وقال مسروق: ماسئل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمه في القرآن ، ولكن علمنا قصر عنه .

وهذا باب واسع قد بسط في موضعه .

والمقصود هنا التنبيه على أُصول «المقالات الفاسدة » التي أوجبت الضلالة في باب العلم والإيمان بما جاء به الرسولﷺ، وأن من جعل الرسول غير عالم بمعاني القرآن الذي أُنزل إليه،ولا جبريل،جعله غير عالم بالسمعيات،ولم يجعل القرآن هدى ولا بياناً للناس .

ثم هؤلا ء ينكرون العقليات في هذا الباب بالكلية، فلا يجعلون عند الرسول وأمته في « باب معرفة اللّه عز وجل » لا علوماً عقلية ولا سمعية، وهم قد شاركوا الملاحدة في هذه من وجوه متعددة، وهم مخطئون فيما نسبوا إلى الرسولﷺ، وإلى السلف، من الجهل،كما أخطأ في ذلك أهل التحريف،والتأويلات الفاسدة، وسائر أصناف الملاحدة.

ونحن نذكر من ألفاظ السلف بأعيانها وألفاظ من نقل مذهبهم ـ إلى غير ذلك من الوجوه بحسب ما يحتمله هذا الموضع ـ ما يعلم به مذهبهم .

٥/٣٩ / روى أبو بكر البيهقي في « الأسماء والصفات » بإسناد صحيح ، عن الأوزاعي قال : كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن اللّه ـ تعالى ذكره ـ فوق عرشه، ونؤمن بما وردت فيه السنة من صفاته .

وقد حكى الأوزاعى ـ وهو أحد الأئمة الأربعة في عصر تابع التابعين ، الذين هم «مالك» إمام أهل الحجاز ،و « الأوزاعي » إمام أهل الشام ، و «الليث» إمام أهل مصر و«الثورى» إمام أهل العراق ـ حكى شهرة القول في زمن التابعين بالإيمان بأن اللّه ـ تعالى ـ فوق العرش، وبصفاته السمعية .

وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جَهْم المنكر لكون اللّه فوق عرشه، والنافي لصفاته؛ ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك .

وروي أبو بكر الخلال في « كتاب السنة » عن الأوزاعى قال : سئل مكحول والزهري عن تفسير الأحاديث فقالا : أمِرُّوها كما جاءت .

وروى ـ أيضا ـ عن الوليد بن مسلم قال : سألت مالك بن أنس، وسفيان الثوري، والليث بن سعد والأوزاعي، عن الأخبار التي جاءت في الصفات. فقالوا : أمِرُّوها كما جاءت. وفي رواية: فقالوا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف .

فقولهم ـ رضي اللّه عنهم ـ :«أمِرُّوها كما جاءت» رد على المعطلة ، وقولهم : « بلا كيف » رد على الممثلة. والزهري ومكحول، هما أعلم التابعين في زمانهم،/ والأربعة الباقون أئمة الدنيا في عصر تابعي التابعين، ومن طبقتهم حماد بن زيد، وحماد بن سلمة وأمثالهما. ٥/٤٠

وروى أبوالقاسم الأزجي بإسناده عن مطرِّف بن عبد اللّه، قال: سمعت مالك بن أنس ـ إذا ذكر عنده من يدفع أحاديث الصفات ـ يقول: قال عمر بن عبد العزيز:سَنّ رسول اللّه ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب اللّه، واستكمال لطاعة اللّه، وقوة على دين اللّه، ليس لأحد من خلق اللّه ـ تعالى ـ تغييرها، ولا النظر في شيء خالفها، من اهتدى بها فهو مهتد، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه اللّه ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً .

وروى الخلال بإسناد ـ كلهم أئمة ثقات ـ عن سفيان بن عيينة، قال :سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن اللّه الرسالة، وعلى الرسول البلاغ المبين، وعلينا التصديق .

وهذا الكلام مروي عن مالك بن أنس تلميذ ربيعة بن أبي عبد الرحمن من غير وجه.

منها : ما رواه أبو الشيخ الأصبهاني ، وأبو بكر البيهقي، عن يحيى بن يحيى، قال: كنا عند مالك بن أنس، فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله،/ ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى ؟ فأطرق مالك برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء[1] ! ثم قال : الاستواء غيرمجهول، والكيف غيرمعقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، ثم أمر به أن يخرج . ٥/٤١

فقول ربيعة ومالك: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب»، موافق لقول الباقين: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإنما نفوا علم الكيفية، ولم ينفوا حقيقة الصفة.

ولو كان القوم قد آمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه ـ على ما يليق بالله ـ لما قالوا: الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، ولما قالوا: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف، فإن الاستواء ـ حينئذ ـ لا يكون معلوما بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم .

وأيضاً ، فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات.

وأيضاً ، فإن من ينفي الصفات الخبرية ـ أو الصفات مطلقاً ـ لا يحتاج إلى أن يقول: بلا كيف ، فمن قال : إن الله ليس على العرش، لا يحتاج أن يقول: بلا كيف، فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا : بلا كيف .

وأيضاً، فقولهم: «أمِرُّوها كما جاءت» يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معان، فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن / يقال : أمِرُّوا لفظها، مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد، أو أمِرُّوا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة، وحينئذ فلا تكون قد أمرت كما جاءت، ولا يقال حينئذ: بلا كيف؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول . ٥/٤٢

وروى الأثرم في «السنة» ،وأبو عبد الله بن بطة في «الإبانة»،وأبو عمرو الطلمنكي، وغيرهم بإسناد صحيح، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ـ وهو أحد أئمة المدينة الثلاثة، الذين هم مالك بن أنس، وابن الماجشون، وابن أبي ذئب ـ وقد سئل عما جحدت به الجهمية :

«أما بعد، فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن خلفها، في صفة الرب

---

(١) أي : العرق . انظر : القاموس ، مادة « رحض».

العظيم، الذي فاقت عظمته الوصف والتدبر، وكَلَّت الألسن عن تفسير صفته، وانحصرت العقول دون معرفة قدرته، وردت عظمته العقول، فلم تجد مساغا فرجعت خاسئة وهي حسيرة. وإنما أُمروا بالنظر والتفكر فيما خلق بالتقدير، وإنما يقال: «كيف» لمن لم يكن مرة ثم كان، فأما الذي لا يُحَول ، ولايزول ، ولم يَزَلْ ، وليس له مثل، فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو. وكيف يعرف قدر من لم يبدأ، ومن لا يموت ولا يبلى؟ وكيف يكون لصفة شيء منه حد أو منتهى ، يعرفه عارف أو يحد قدره واصف؟ على أنه الحق المبين لا حق أحق منه، ولا شيء أبين منه. الدليل على عجز العقول عن
٥/٤٣ تحقيق صفته، عجزها عن تحقيق / صفة أصغر خلقه لا تكاد تراه صغراً يجول ويزول، ولا يرى له سمع ولا بصر؛ لما يتقلب به ويحتال من عقله أعضل بك، وأخفى عليك مما ظهر من سمعه وبصره، فتبارك الله أحسن الخالقين، وخالقهم وسيد السادة، وربهم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

اعرف ـ رحمك الله ـ غناك عن تكلُّف صفة، ما لم يصف الرب من نفسه بعجزك عن معرفة قدر ما وصف منها؛ إذا لم تعرف قدر ما وصف فما تكلفك علم ما لم يصف؟ هل تستدل بذلك على شيء من طاعته أو تزدجر به عن شيء من معصيته ؟

فأما الذي جحد ما وصف الرب من نفسه تعمقاً وتكلفاً فقد ﴿ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ﴾[الأنعام: ٧١]، فصار يستدل ـ بزعمه ـ على جحد ما وصف الرب وسمى من نفسه بأن قال: لابد إن كان له كذا من أن يكون له كذا، فعمى عن البين بالخفي، فجحد ما سمى الرب من نفسه لصمت الرب عما لم يسم منها ، فلم يزل يملي له الشيطان حتى جحد قول الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ . إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقال: لا يراه أحد يوم القيامة، فجحد ـ والله ـ أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾[القمر: ٥٥] قد قضى أنهم لا يموتون ، فهم بالنظر إليه ينضرون. إلى أن قال:
٥/٤٤ وإنما جحد رؤية الله يوم القيامة إقامة للحجة الضالة المضلة؛ لأنه قد / عرف أنه إذا تجلى لهم يوم القيامة رأوا منه ما كانوا به قبل ذلك مؤمنين، وكان له جاحداً .

وقال المسلمون: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا. قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟»قالوا: لا. قال: «فإنكم ترون ربكم يومئذ كذلك»(١).

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٥٨١) ومسلم فى الزهد (٢٩٦٨ / ١٦) .

وقال رسول اللّه ﷺ : «لا تمتلئ النار حتى يضع الجبار فيها قدمه ، فتقول: قط قط، وينزوي بعضها إلى بعض»(١)، وقال لثابت بن قيس:« لقد ضحك اللّه مما فعلت بضيفك البارحة»(٢)، وقال فيما بلغنا: «إن اللّه ـ تعالى ـ ليضحك من أزلكم (٣) وقنوطكم وسرعة إجابتكم». فقال له رجل من العرب: إن ربنا ليضحك ؟ قال: «نعم». قال: لا نعدم من رب يضحك خيراً (٤). إلى أشباه لهذا مما لا نحصيه .

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١]، ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ، وقال تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه: ٣٩] ، وقال تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[الزمر: ٦٧].

فواللّه ما دلهم على عظم ما وصفه من نفسه، وما تحيط به قبضته: إلا صغر نظيرها منهم عندهم ، إن ذلك الذي ألقى في روعهم ، وخلق على معرفة قلوبهم ،/ فما ٥/٤٥
وصف اللّه من نفسه وسماه على لسان رسوله ﷺ سميناه كما سماه، ولم نتكلف منه صفة ماسواه ـ لا هذا ولا هذا ـ لا نجحد ما وصف ولا نتكلف معرفة ما لم يصف .

اعلم ـ رحمك اللّه ـ أن العصمة في الدين أن تنتهي في الدين حيث انتهي بك، ولا تجاوز ما قد حد لك، فإن من قوام الدين معرفة المعروف وإنكار المنكر، فما بسطت عليه المعرفة وسكنت إليه الأفئدة، وذكر أصله في الكتاب والسنة، وتوارثت علمه الأمة، فلا تخافن في ذكره وصفته من ربك ما وصف من نفسه عيباً، ولا تتكلفن بما وصف لك من ذلك قدراً .

وما أنكرته نفسك ولم تجد ذكره في كتاب ربك، ولا في حديث عن نبيك ـ من ذكر صفة ربك ـ فلا تكلفن علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمت عنه كما صمت الرب عنه من نفسه؛ فإن تكلفك معرفة مالم يصف من نفسه مثل إنكار ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحده الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعظم تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها .

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٨٥٠) ومسلم فى الجنة (٢٨٤٦ / ٣٥) .

(٢) البخاري في مناقب الأنصار(٣٧٩٨) عن أبي هريرة.

(٣) الأزْل : الشدة والضيق. انظر :النهاية في غريب الحديث ١/٤٦.

(٤) ابن ماجه فى المقدمة (١٨١) وأحمد ٤ / ١١ ، ١٢ وضعفه الألبانى .

فقد ـ والله ـ عَزّ المسلمون، الذين يعرفون المعروف وبهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر؛ يسمعون ما وصف الله به نفسه من هذا في كتابه، وما بلغهم مثله عن نبيه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته قلب مسلم، ولا تكلف صفة قدره ولا تسمية غيره من الرب مؤمن .

٥/٤٦ / وما ذكر عن النبي ﷺ أنه سماه من صفة ربه، فهو بمنزلة ما سمى وما وصف الرب ـ تعالى ـ من نفسه .

والراسخون في العلم ـ الواقفون حيث انتهى علمهم، الواصفون لربهم بما وصف من نفسه، التاركون لما ترك من ذكرها ـ لا ينكرون صفة ما سمى منها جحداً ،ولا يتكلفون وصفه بما لم يسم تعمقاً ؛ لأن الحق ترك ما ترك ، وتسمية ما سمى ﴿**وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[النساء : ١١٥]. وهب الله لنا ولكم حكماً، وألحقنا بالصالحين.

وهذا كله كلام ابن الماجشون الإمام، فتدبره، وانظر كيف أثبت الصفات ونفى علم الكيفية ـ موافقا لغيره من الأئمة ـ وكيف أنكر على من نفي الصفات بأنه يلزمهم من إثباتها كذا وكذا، كما تقوله الجهمية ـ: إنه يلزم أن يكون جسما أو عَرَضاً [1]؛ فيكون محدثاً.

وفي كتاب «الفقه الأكبر» المشهور عند أصحاب أبي حنيفة؛ الذي رووه بالإسناد عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، قال : سألت أبا حنيفة عن الفقة الأكبر فقال : لا تكفرن أحداً بذنب، ولا تنف أحداً به من الإيمان، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تتبرأ من أحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا توالى أحداً دون أحد ، وأن ترد أمر عثمان وعليّ إلى الله عز وجل.

٥/٤٧ / قال أبو حنيفة: الفقه الأكبر في الدين خير من الفقه في العلم، ولأن يفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من أن يجمع العلم الكثير. قال أبو مطيع ـ الحكم بن عبد الله ـ قلت: أخبرنى عن أفضل الفقه. قال: تعلم الرجل الإيمان والشرائع والسنن والحدود، واختلاف الأئمة. وذكر مسائل «الإيمان»، ثم ذكر مسائل «القدر»، والرد على القدرية بكلام حسن ليس هذا موضعه .

---

(١) العَرَض ـ في اصطلاح المتكلمين ـ: ما لا يقوم بنفسه ، ولا يوجد إلا في مَحل يقوم به، وذلك نحو حُمْرَة الخجل وصُفْرَة الوَجَل. انظر: المصباح المنير، مادة «عرض».

ثم قال: قلت: فما تقول فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيتبعه على ذلك أناس فيخرج على الجماعة، هل ترى ذلك ؟ قال: لا. قلت: ولمَ، وقد أمر اللّه ورسوله بالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وهو فريضة واجبة ؟ قال: هو كذلك، لكن ما يفسدون أكثر مما يصلحون من سفك الدماء، واستحلال الحرام. قال: وذكر الكلام في قتل الخوارج والبغاة .

إلى أن قال: قال أبوحنيفة عمن قال: لا أعرف ربي في السماء، أم في الأرض :فقد كفر؛ لأن اللّه يقول: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥] ،وعرشه فوق سبع سموات.

قلت: فإن قال: إنه على العرش استوى، ولكنه يقول: لا أدري، العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال :هو كافر؛ لأنه أنكر أن يكون في السماء؛ لأنه تعالى في أعلى عليين،وإنه يدعي من أعلى لا من أسفل ـ وفي لفظ ـ :سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض.قال: قد كفر. قال: لأن اللّه/ يقول :﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى** ٤٨ / ٥
الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وعرشه فوق سبع سموات. قال: فإنه يقول: على العرش استوى،ولكن لا يدري، العرش في الأرض أو في السماء. قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر .

ففي هذا الكلام المشهور عن أبي حنيفة عند أصحابه : أنه كفر الواقف الذي يقول : لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض! فكيف يكون الجاحد النافي الذي يقول: ليس في السماء، أو ليس في السماء ولا في الأرض ؟ واحتج على كفره بقوله :﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾، قال: وعرشه فوق سبع سموات .

وبين بهذا أن قوله تعالى :﴿ **الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ يبين أن اللّه فوق السموات فوق العرش، وأن الاستواء على العرش دل على أن اللّه بنفسه فوق العرش .

ثم إنه أردف ذلك بتكفير من قال: إنه على العرش استوى، ولكن توقف في كون العرش في السماء أم في الأرض، قال : لأنه أنكر أنه في السماء؛ لأن اللّه في أعلى عليين وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل .

وهذا تصريح من أبي حنيفة بتكفير من أنكر أن يكون اللّه في السماء، واحتج على ذلك بأن اللّه في أعلى عليين، وأنه يدعى من أعلى لا من أسفل، وكل من هاتين الحجتين فطرية عقلية؛ فإن القلوب مفطورة على الإقرار بأن اللّه/ في العلو، وعلى أنه ٤٩ / ٥
يدعى من أعلى لا من أسفل،وقد جاء اللفظ الآخرصريحاً عنه بذلك.فقال: إذا أنكر أنه

في السماء فقد كفر.

وروي هذا اللفظ بإسناد عنه شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في «كتاب الفاروق »، وروى ـ أيضاً ـ ابن أبي حاتم: أن هشام بن عبيد اللّه الرازي ـ صاحب محمد بن الحسن ـ قاضي الرّي ـ حبس رجلا في التجهم فتاب؛ فجيء به إلى هشام ليطلقه، فقال: الحمد للّه على التوبة. فامتحنه هشام، فقال: أتشهد أن اللّه على عرشه بائن من خلقه ؟ فقال : أشهد أن اللّه على عرشه، ولا أدري ما بائن من خلقه. فقال: ردوه إلى الحبس فإنه لم يتب .

وروى ـ أيضاً ـ عن يحيى بن معاذ الرازي أنه قال : إن اللّه على العرش بائن من الخلق ، وقد أحاط بكل شيء علما ، وأحصى كل شيء عدداً، لا يشك في هذه المقالة إلا جهمي ردىء ضليل ، وهالك مرتاب ، يمزج اللّه بخلقه ، ويخلط سنه الذات بالأقذار والأنتان .

وروى ـ أيضاً ـ عن ابن المديني لما سئل: ما قول أهل الجماعة ؟ قال: يؤمنون بالرؤية والكلام ، وأن اللّه فوق السموات على العرش استوى ، فسئل عن قوله: ﴿ **ما يَكُونُ من نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إلا هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾ [المجادلة: ٧]، فقال : اقرأ ما قبلها : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾[المجادلة : ٧].

٥/٥٠ / وروى ـ أيضاً ـ عن أبي عيسى الترمذي قال :هو على العرش كما وصف في كتابه، وعلمه وقدرته وسلطانه في كل مكان .

وروى عن أبي زُرْعَة الرازي: أنه لما سئل عن تفسير قوله: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه: ٥] فقال : تفسيره كما يقرأ، هو على العرش ، وعلمه في كل مكان، ومن قال غير هذا فعليه لعنة اللّه.

وروي أبو القاسم اللالكائي الحافظ، الطبري، صاحب أبي حامد الإسفرائيني، في كتابه المشهور في « أصول السنة » بإسناده عن محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قال: اتفق الفقهاء كلهم ـ من المشرق إلى المغرب ـ على الإيمان بالقرآن والأحاديث ، التي جاء بها الثقات عن رسول اللّهﷺ في صفة الرب ـ عز وجل ـ من غير تفسير، ولا وصف ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً منها فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ، وفارق الجماعة؛ فإنهم لم يصفوا، ولم يفسروا، ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة، ثم سكتوا،

فمن قال: بقول«جَهْم» فقد فارق الجماعة؛ لأنه قد وصفه بصفة لا شيء.

محمد بن الحسن أخذ عن أبي حنيفة ومالك وطبقتهما من العلماء، وقد حكى هذا الإجماع، وأخبر أن الجهمية تصفه بالأمور السلبية غالباً، أو دائماً. وقوله: « من غير تفسير»: أراد به تفسير الجهمية المعطلة، الذين ابتدعوا تفسير الصفات بخلاف ما كان عليه الصحابة والتابعون من الإثبات .

٥/٥١ / وروي البيهقي وغيره بإسناد صحيح عن « أبي عبيد القاسم بن سلام » قال : هذه الأحاديث التي يقول فيها :«ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره»، و«أن جهنم لا تمتلئ حتى يضع ربك فيها قدمه »، و«الكرسي موضع القدمين »، وهذه الأحاديث في «الرؤية» هي عندنا حق، حملها الثقات بعضهم عن بعض، غير أنّا إذا سئلنا عن تفسيرها لا نفسرها، وما أدركنا أحدًا يفسرها (١).

أبو عبيد: أحد الأئمة الأربعة، الذين هم الشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأبو عبيد، وله من المعرفة بالفقه، واللغة، والتأويل، ما هو أشهر من أن يوصف، وقد كان في الزمان الذي ظهرت فيه الفتن والأهواء، و قد أخبر أنه ما أدرك أحداً من العلماء يفسرها، أي تفسير الجهمية .

وروى اللالكائي والبيهقي بإسنادهما عن عبد الله بن المبارك؛ أن رجلاً قال له : يا أبا عبد الرحمن ،إني أكره الصفة ـ يعنى صفة الرب ـ فقال له عبد الله بن المبارك: وأنا أشد الناس كراهية لذلك ، ولكن إذا نطق الكتاب بشيء قلنا به ، وإذا جاءت الآثار بشيء جسرنا عليه، ونحو هذا .

أراد ابن المبارك : أنا نكره أن نبتدئ بوصف الله من تلقاء أنفسنا حتى يجيء به الكتاب والآثار .

٥/٥٢ وروى عبد الله بن أحمد وغيره بأسانيد صحاح عن ابن المبارك أنه قيل له:/ بماذا نعرف ربنا ؟ قال : بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، ولا نقول كما تقول الجهمية: أنه ههنا في الأرض ـ وهكذا قال الإمام أحمد وغيره .

وروى بإسناد صحيح عن سليمان بن حرب الإمام، سمعت حماد بن زيد، وذكر هؤلاء الجهمية، فقال : إنما يحاولون أن يقولوا :ليس في السماء شيء .

وروى ابن أبي حاتم في كتاب «الرد على الجهمية» عن سعيد بن عامر الضبعي إمام

---

(١) هذه الأحاديث في الأسماء والصفات للبيهقي ٢/ ٢١٦-٢٢٤.

أهل البصرة علماً وديناً، من شيوخ الإمام أحمد ـ إنه ذكر عنده الجهمية، فقال :أشر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع اليهود والنصاري وأهل الأديان مع المسلمين على أن اللّه على العرش، وهم قالوا : ليس على شيء .

وقال محمد بن إسحاق بن خزيمة، إمام الأئمة: من لم يقل: إن اللّه فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه، وجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ثم ألقي على مزبلة ، لئلا يتأذى بريحه أهل القبلة ولا أهل الذمة، ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح .

وروى عبد اللّه بن الإمام أحمد بإسناده عن عباد بن العوام ـ الواسطي إمام أهل واسط من طبقة شيوخ الشافعي وأحمد ـ قال : كلمت بشراً المريسي وأصحاب بشر، فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس فى السماء شيء .

٥/٥٣ وعن عبد الرحمن بن مهدي الإمام المشهور، أنه قال : ليس فى أصحاب / الأهواء شر من أصحاب جهم ، يدورون على أن يقولوا: ليس فى السماء شيء، أرى واللّه ألا يناكحوا، ولا يوارثوا .

وروى عبد الرحمن بن أبي حاتم فى «كتاب الرد على الجهمية» عن عبد الرحمن بن مهدي قال: أصحاب جهم يريدون أن يقولوا :إن اللّه لم يكلم موسى، ويريدون أن يقولوا: ليس فى السماء شيء، وأن اللّه ليس على العرش، أرى أن يستتابوا، فإن تابوا وإلا قتلوا .

وعن الأصمعي قال: قدمت امرأة جهم فنزلت بالدباغين، فقال رجل عندها : اللّه على عرشه. فقالت: محدود على محدود، فقال الأصمعي: كفرت بهذه المقالة.

وعن عاصم بن على بن عاصم ـ شيخ أحمد والبخاري وطبقتهما ـ قال : ناظرت جهمياً ، فتبين من كلامه ألا يؤمن أن فى السماء رباً .

وروى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني، قال: أخبرنا سُرَيْج بن النعمان قال : سمعت عبد اللّه بن نافع الصائغ قال: سمعت مالك بن أنس يقول: اللّه فى السماء، وعلمه فى كل مكان، لا يخلو من علمه مكان .

وقال الشافعي: خلافة أبي بكر الصديق حق قضاه اللّه فى السماء، وجمع عليه قلوب عباده .

٥/٥٤ / وفى الصحيح عن أنس بن مالك قال: كانت زينب تفتخر على أزواج النبيﷺ تقول:

زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات»[1]. وهذا مثل قول الشافعي.

وقصة أبي يوسف ـ صاحب أبي حنيفة ـ مشهورة فى استتابة بشر المريسي، حتى هرب منه لما أنكر أن يكون الله فوق عرشه قد ذكرها ابن أبي حاتم وغيره .

وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، الإمام المشهور من أئمة المالكية، فى كتابه الذي صنفه فى «أصول السنة» قال فيه :

« باب الإيمان بالعرش »

قال :ومن قول أهل السنة: إن الله ـ عز وجل ـ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه فى قوله: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، وقوله :﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ**﴾ الآية [الحديد: ٤] .

فسبحان من بَعُد وقَرُب بعلمه، فسمع النجوى. وذكر حديث أبي رَزِين العقيلي، قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض ؟

٥/٥٥ / قال : « فى عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء»[2]. قال محمد: العماء :السحاب الكثيف المطبق ـ فيما ذكره الخليل ـ وذكر آثاراً أخر، ثم قال:

« باب الإيمان بالكرسى »

قال محمد بن عبد الله: ومن قول أهل السنة: إن الكرسي بين يدي العرش، وأنه موضع القدمين . ثم ذكر حديث أنس الذي فيه التجلي يوم الجمعة فى الآخرة، وفيه: «فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه،ثم يحف الكرسي على منابر من ذهب مكللة بالجواهر، ثم يجيء النبيون فيجلسون عليها»[3]. وذكر ما ذكره يحيى بن سالم ـ صاحب التفسير المشهور ـ : حدثني العلاء بن هلال، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير،عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال:إن الكرسي الذي وسع السموات والأرض

---

(١) البخاري في التوحيد (٧٤٢٠)، والترمذي في التفسير (٣٢١٣)، وقال:« حديث حسن صحيح».

(٢) الترمذي في التفسير (٣١٠٩) وقال : « حديث حسن » ، وابن ماجه في المقدمة (١٨٢) ، وأحمد ١١/٤، ١٢.

(٣) تاريخ بغداد ٧/ ٢٢٠، وكنز العمال (٣٩٢٨٦)، والميزان (٢٣١٢). قال العقيلي : «ليس له أصل من حديث قتادة ، بل هو من حديث أبي اليقظان عثمان بن عمير ، عن أنس، بأنقص من هذا» .

لموضع القدمين، ولا يعلم قدر العرش إلا الذي خلقه[1].

وذكر من حديث أسد بن موسي، ثنا حماد بن سلمة عن زر عن ابن مسعود قال: ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، واللّه فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه [2].

ثم قال فى :

« باب الإيمان بالحجب »

٥/٥٦ قال : ومن قول أهل السنة: إن اللّه بائن / من خلقه يحتجب عنهم بالحجب، فتعالى اللّه عما يقول الظالمون علواً كبيراً، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلا كَذِبًا﴾ [الكهف :٥] ، وذكر آثاراً فى الحجب .

ثم قال فى :

« باب الإيمان بالنزول »

قال: ومن قول أهل السنة: إن اللّه ينزل إلى سماء الدنيا ، ويؤمنون بذلك من غير أن يحدوا فيه حداً، وذكر الحديث من طريق مالك وغيره[3]. إلى أن قال: وأخبرني وهب، عن ابن وضاح ،عن الزهري ،عن ابن عباد، قال: ومن أدركت من المشائخ: مالك وسفيان، وفُضَيْل بن عياض، وعيسى بن المبارك ووَكِيع ، كانوا يقولون : إن النزول حق. قال ابن وَضَّاح: وسألت يوسف بن عَدِيّ عن النزول قال: نعم أومن به، ولا أحِدّ فيه حداً، وسألت عنه ابن معين، فقال: نعم أُقرُّ به، ولا أحِدّ فيه حداً .

قال محمد: وهذا الحديث يبين أن اللّه ـ عز وجل ـ على العرش فى السماء دون الأرض، وهو ـ أيضاً ـ بَيِّنٌ فى كتاب اللّه، وفي غير حديث عن رسول اللّه ﷺ . قال تعالى : ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة :٥]، وقال تعالى : ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [الملك :١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:١٨] وقال تعالى:

---

(١) البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٤٨. (٢) البيهقي في الأسماء والصفات ٢/ ١٤٥.

(٣) البخارى فى التهجد (١١٤٥) ومسلم فى صلاة المسافرين (٧٥٨/ ١٦٨) ومالك فى الموطأ فى القرآن (٣٠) .

﴿يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

٥/٥٧ وذكر من طريق مالك قول النبي ﷺ للجارية: «أين اللّه؟» / قالت: في السماء. قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول اللّه. قال: «فاعتقها»[1]. قال: والأحاديث مثل هذا كثيرة جداً، فسبحان من علمه بما في السماء كعلمه بما في الأرض، لا إله إلا هو العلي العظيم.

وقال قبل ذلك في «الإيمان بصفات اللّه تعالى وأسمائه» قال: واعلم بأن أهل العلم باللّه وبما جاءت به أنبياؤه ورسله، يرون الجهل بما لم يخبر به عن نفسه علماً، والعجز عما لم يدع إليه إيماناً، وأنهم إنما ينتهون من وصفه بصفاته وأسمائه إلى حيث انتهى في كتابه على لسان نبيه.

وقد قال ـ وهو أصدق القائلين ـ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩]، وقال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [ص: ٧٢] وقال: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[الطور: ٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [الزمر: ٦٧]، وقال: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾[طه: ٤٦]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية [النور: ٣٥]، وقال: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ الآية [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ومثل هذا في القرآن كثير.

٥/٥٨ / فهو ـ تبارك وتعالى ـ نور السموات والأرض، كما أخبرعن نفسه، وله وجه، ونفس، وغير ذلك مما وصف به نفسه، ويسمع، ويرى، ويتكلم، هو الأول لا شيء قبله، والآخر الباقي إلى غير نهاية ولا شيء بعده، والظاهر العالي فوق كل شيء، والباطن، بطن علمه بخلقه فقال: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣] قيوم حي لا تأخذه سِنَةٌ ولا نوم.

---

(١) سبق تخريجه ص ١٣.

وذكر «أحاديث الصفات» ثم قال : فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه، ولا تقدير :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] . لم تره العيون فتحده كيف هو ، ولكن رأته القلوب في حقائق الإيمان أ. هـ.

وكلام الأئمة في هذا الباب أطول وأكثر من أن تسع هذه الفتيا عشره، وكذلك كلام الناقلين لمذهبهم ، مثل ما ذكره أبو سليمان الخطابي في رسالته المشهورة في «الغنية عن الكلام وأهله» قال: « فأما ما سألت عنه من الصفات، وما جاء منها في الكتاب والسنة، فإن مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته اللّه، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، ودين اللّه ـ تعالى ـ بين الغالي فيه والجافي والمقصر عنه .

٥٩ / ٥ / والأصل في هذا: أن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله. فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري ـ سبحانه ـ إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية ، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف .

فإذا قلنا: يد وسمع، وبصر وما أشبهها ،فإنما هي صفات أثبتها اللّه لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار ، التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول : إن القول إنما وجب بإثبات الصفات؛ لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها ؛ لأن اللّه ليس كمثله شيء ، وعلى هذا جرى قول السلف في أحاديث الصفات». هذا كله كلام الخطابي .

وهكذا قاله أبو بكر الخطيب الحافظ في رسالة له، أخبر فيها أن مذهب السلف على ذلك .

وهذا الكلام الذي ذكره الخطابي قد نقل نحواً منه من العلماء من لا يحصى عددهم، مثل أبي بكر الإسماعيلي، والإمام يحيى بن عمار السجزي ، وشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي صاحب «منازل السائرين»، و «ذم الكلام» وهو أشهر من أن يوصف، وشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني ، وأبي عمر بن عبد البر النمري إمام المغرب ، وغيرهم.

/ وقال أبو نعيم الأصبهاني، صاحب «الحلية» في عقيدة له، قال في أولها :«طريقتنا ٥/٦٠
طريقة المتبعين الكتاب والسنة، وإجماع الأمة » قال: «فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها ، ويثبتونها، من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، وأن الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستو على عرشه في سمائه ، دون أرضه وخلقه » .

وقال الحافظ أبو نعيم في كتابه ـ «محجة الواثقين، ومدرجة الوامقين» تأليفه ـ: «وأجمعوا أن الله فوق سمواته، عال على عرشه، مستوٍ عليه، لا مستول عليه كما تقول الجهمية أنه بكل مكان، خلافاً لما نزل في كتابه: ﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ**﴾[الملك: ١٦]، ﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ**﴾[فاطر: ١٠]، ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه: ٥]، له العرش المستوى عليه، والكرسي الذي وسع السموات والأرض، وهو قوله: ﴿ **وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

وكرسيه جسم ، والأرضون السبع والسموات السبع عند الكرسي كحلقة في أرض فلاة، وليس كرسيه علمه كما قالت الجهمية، بل يوضع كرسيه يوم القيامة لفصل القضاء بين خلقه، كما قاله النبي ﷺ ، وأنه ـ تعالى وتقدس ـ يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده والملائكة صفّا صفّا؛ كما قال تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر: ٢٢]، وزاد النبي ﷺ : و«إنه ـ تعالى وتقدس ـ يجيء يوم القيامة لفصل القضاء بين عباده ، فيغفر لمن يشاء من / مذنبي الموحدين ، ويعذب من يشاء»، ٥/٦١
كما قال تعالى: ﴿**فَيَغْفِرُ**(١) **لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ**﴾[البقرة: ٢٨٤].

وقال الإمام العارف معمر بن أحمد الأصبهاني ـ شيخ الصوفية في حدود المائة الرابعة في بلاده ـ قال : أحببت أن أوصي أصحابي بوصية من السنة، وموعظة من الحكمة، وأجمع ما كان عليه أهل الحديث والأثر بلا كيف، وأهل المعرفة والتصوف من المتقدمين والمتأخرين. قال فيها: «وأن الله استوى على عرشه بلا كيف، ولا تشبيه، ولا تأويل، والاستواء معقول والكيف فيه مجهول، وأنه ـ عز وجل ـ مستوٍ على عرشه، بائن من خلقه، والخلق منه بائنون، بلا حلول ولا ممازجة ولا اختلاط، ولا ملاصقة؛ لأنه الفرد البائن من الخلق، الواحد الغني عن الخلق .

وأن الله ـ عز وجل ـ سميع، بصير، عليم، خبير، يتكلم، ويرضى، ويسخط، ويضحك، ويعجب، ويتجلى لعباده يوم القيامة ضاحكا، وينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا

(١) في المطبوعة :«يغفر» والصواب ما أثبتناه.

كيف شاء، «فيقول: هل من داع ـ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟حتى يطلع الفجر»[1]، ونزول الرب إلى السماء بلا كيف ولا تشبيه، ولا تأويل. فمن أنكر النزول أو تأول فهو مبتدع ضال، وسائر الصفوة من العارفين على هذا» أ.هـ .

وقال الشيخ الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال في «كتاب السنة»: ثنا
٦٢ / ٥ أبو بكر الأثرم، ثنا إبراهيم بن الحارث ـ يعني العبادي ـ حدثنا الليث/ بن يحيى قال : سمعت إبراهيم بن الأشعث ـ قال أبو بكر: هو صاحب الفضيل ـ قال: سمعت الفضيل بن عياض يقول: ليس لنا أن نتوهم في الله كيف هو ؛ لأن الله ـ تعالى ـ وصف نفسه فأبلغ فقال : ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ . وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص] فلا صفة أبلغ مما وصف به نفسه .

وكل هذا النزول والضحك، وهذه المباهاة، وهذا الاطلاع، كما يشاء أن ينزل، وكما يشاء أن يباهي، وكما يشاء أن يضحك، وكما يشاء أن يطلع، فليس لنا أن نتوهم كيف وكيف . فإذا قال الجهمي: أنا أكفر برب يزول عن مكانه، فقل : بل أومن برب يفعل ما يشاء .

ونقل هذا عن الفضيل جماعة، منهم البخاري في «أفعال العباد» .

ونقل شيخ الإسلام بإسناده في كتابه « الفاروق » فقال : ثنا يحيي بن عمار، ثنا أبي، ثنا يوسف بن يعقوب، ثنا حَرَميّ بن على البخاري، وهانئ بن النضر، عن الفضيل.

وقال عمرو بن عثمان المكي ـ في كتابه الذي سماه : «التعرف بأحوال العباد والمتعبدين» ـ قال: (باب ما يجيء به الشيطان للتائبين) وذكر أنه يوقعهم في القنوط، ثم في الغرور وطول الأمل، ثم في التوحيد. فقال : «من أعظم ما يوسوس في التوحيد بالتشكل أو في صفات الرب بالتمثيل والتشبيه، أو بالجحد لها والتعطيل» ، فقال بعد ذكر حديث الوسوسة :

٦٣ / ٥ / واعلم ـ رحمك الله ـ أن كُلَّ ما توهمه قلبك، أو سَنَح[2] في مجاري فكرك، أو خطر في معارضات قلبك، من حسن ،أو بهاء، أو ضياء،أو إشراق أو جمال، أو سنح مسائل، أو شخص متمثل ، فالله ـ تعالى ـ بغير ذلك، بل هو ـ تعالى ـ أعظم وأجل وأكبر، ألا تسمع لقوله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾[الشورى: ١١]، وقوله: ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا**

(١) سبق تخريجه ص ٣٨ .

(٢) أي: عَرَض. انظر: القاموس ، مادة «سنح».

أَحَد﴾[الإخلاص: ٤] أي: لا شبيه ولا نظير ولا مساوي ولا مثل ، أو لم تعلم أنه لما تجلي للجبل تدكدك لعظم هيبته وشامخ سلطانه؟ فكما لا يتجلى لشيء إلا اندك، كذلك لا يتوهمه أحد إلا هلك. فرد بما بين الله في كتابه من نفسه عن نفسه التشبيه والمثل، والنظير والكفء .

فإن اعتصمت بها وامتنعت منه، أتاك من قبل التعطيل لصفات الرب ـ تعالى وتقدس ـ في كتابه وسنة رسوله محمد ﷺ، فقال لك: إذا كان موصوفاً بكذا أو وصفته أوجب له التشبيه فأكذبه؛ لأنه اللعين إنما يريد أن يستزلك ويغويك، ويدخلك في صفات الملحدين، الزائغين، الجاحدين لصفة الرب ـ تعالى .

واعلم ـ رحمك الله تعالى ـ أن الله ـ تعالى ـ واحد لا كالآحاد ، فرد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد ـ إلى أن قال ـ : خلصت له الأسماء السَّنِيَّة، فكانت واقعة في قديم الأزل بصدق الحقائق، لم يستحدث ـ تعالى ـ صفة كان منها خلياً، واسماً كان منه برياً، تبارك وتعالى، فكان هادياً سيهدي، وخالقاً سيخلق، ورازقاً سيرزق، وغافراً سيغفر، وفاعلاً سيفعل، ولم يحدث له / الاستواء إلا وقد كان في صفة ٦٤ / ٥
أنه سيكون ذلك الفعل، فهو يسمي به في جملة فعله .

كذلك قال الله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] بمعنى: أنه سيجيء، فلم يستحدث الاسم بالمجيء، وتخلف الفعل لوقت المجيء، فهو جاء سيجيء، ويكون المجيء منه موجوداً بصفة لا تلحقه الكيفية ولا التشبيه؛ لأن ذلك فعل الربوبية فيستحسر العقل، وتنقطع النفس عند إرادة الدخول في تحصيل كيفية المعبود، فلا تذهب في أحد الجانبين ، لا معطلا ولا مشبهاً، وارض لله بما رضي به لنفسه، وقف عند خبره لنفسه مسلماً، مستسلماً، مصدقاً، بلا مباحثة التنفير ،ولا مناسبة التنقير .

إلى أن قال: فهو ـ تبارك وتعالى ـ القائل: أنا الله لا الشجرة، الجائي قبل أن يكون جائياً، لا أمره، المتجلي لأوليائه في المعاد، فتبيض به وجوههم، وتَفْلُج[1] به على الجاحدين حجتهم، المستوى على عرشه بعظمة جلاله فوق كل مكان، تبارك وتعالى الذى كلم موسى تكليما، وأراه من آياته، فسمع موسى كلام الله ؛ لأنه قربه نَجِيّا. تقدس أن يكون كلامهم مخلوقاً أو محدثاً أو مربوباً، الوارث بخلقه لخلقه، السميع لأصواتهم، الناظر بعينه إلى أجسامهم، يداه مبسوطتان، وهما غير نعمته، خلق آدم ونفخ فيه من روحه ـ وهو أمره ـ تعالى وتقدس ـ أن يحل بجسم أو يمازج بجسم أو يلاصق به، تعالى

(١) أي: تظهر وتثبت. انظر: المصباح المنير، مادة «فلج».

عن ذلك علواً كبيراً ، الشائي له المشيئة، العالم له العلم ، الباسط يديه بالرحمة، النازل
٥/٦٥ كل ليلة إلى سماء الدنيا ليتقرب/ إليه خلقه بالعبادة، وليرغبوا إليه بالوسيلة، القريب في قربه من حبل الوريد، البعيد في علوه من كل مكان بعيد، ولا يشبه بالناس .

إلى أن قال : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، القائل ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾ [الملك: ١٦، ١٧] ، تعالى وتقدس أن يكون في الأرض كما هو في السماء، جل عن ذلك علواً كبيراً » أ.هـ .

وقال الإمام أبو عبد الله الحارث بن إسماعيل بن أسد المحاسبي ، في كتابه المسمي «فَهْم القرآن »، قال في كلامه على الناسخ والمنسوخ ، وأن النسخ لا يجوز في الأخبار، قال : لا يحل لأحد أن يعتقد أن مدح الله وصفاته ، ولا أسماءه، يجوز أن ينسخ منها شيء .

إلى أن قال : وكذلك لا يجوز إذا أخبر أن صفاته حسنة عليا، أن يخبر بذلك أنها دنية سفلى ، فيصف نفسه بأنه جاهل ببعض الغيب، بعد أن أخبر أنه عالم بالغيب، وأنه لا يبصر ما قد كان ، ولا يسمع الأصوات ، ولا قدرة له ، ولا يتكلم ، ولا كلام كان منه، وأنه تحت الأرض ، لا على العرش ، جل وعلا عن ذلك .

فإذا عرفت ذلك واستيقنته ، علمت ما يجوز عليه النسخ وما لا يجوز، فإن تلوت آية في ظاهر تلاوتها تحسب أنها ناسخة لبعض أخباره كقوله عن فرعون: ﴿حَتَّىٰ إِذَا(١) أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ﴾ الآيات [يونس: ٩٠] ،وقال: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

٥/٦٦ / وقال : قد تأول قوم : أن الله عنى أن ينجيه ببدنه من النار ، لأنه آمن عند الغرق، وقال : إنما ذكر الله أن قوم فرعون يدخلون النار دونه وقال : ﴿فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، وقال : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾[غافر: ٤٥] ،ولم يقل: بفرعون. قال : وهكذا الكذب على الله؛ لأن الله تعالى يقول :﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ﴾ [النازعات : ٢٥] كذلك قوله :﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ [العنكبوت: ٣] فأقر التلاوة على استئناف العلم من الله ـ عز وجل ـ عن أن يستأنف علماً بشيء؛ لأنه من ليس له علم بما يريد أن يصنعه لم يقدر أن يصنعه ـ نجده ضرورة ـ قال : ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤] قال : وإنما قوله: ﴿ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ ﴾ [محمد: ٣١] إنما

(١) في المطبوعة :« فلما» والصواب ما أثبتناه.

يريد حتى نراه ، فيكون معلوماً موجوداً ؛ لأنه لا جائز أن يكون يعلم الشيء معدوما من قبل أن يكون ، ويعلمه موجوداً كان قد كان ، فيعلم في وقت واحد معدوما موجوداً وإن لم يكن ، وهذا محال .

وذكر كلاماً في هذا في الإرادة .

إلى أن قال : وكذلك قوله :﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:١٥]، ليس معناه أن يحدث له سمعاً ، ولا تكلف بسمع ما كان من قولهم ،وقد ذهب قوم من «أهل السنة» أن لله استماعاً في ذاته ،فذهبوا إلى أن ما يعقل من أنه يحدث منهم علم سمع لما كان من قول؛لأن المخلوق إذا سمع حدث له عقد فهم عما أدركته أذنه من الصوت، وكذلك قوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾[التوبة:١٠٥]لا يتحدث بصراً محدثا في ذاته ، إنما يحدث الشيء فيراه مكوناً ، كما لم يزل يعلمه قبل كونه .

/ إلى أن قال:وكذلك قوله تعالى:﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[الأنعام: ١٨] ، ٥/٦٧
وقوله: ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[طه:٥] ، وقوله: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ ﴾ [الملك : ١٦]، وقوله :﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠] .

وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة :٥] وقال: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٤]، وقال لعيسى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾الآية [آل عمران:٥٥]، وقال :﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨] وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف:٢٠٦].

وذكر الآلهة، أن لو كان آلهة لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا ، حيث هو ، فقال : ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢] أي طلبه، وقال: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١] .

قال أبو عبد الله : فلن ينسخ ذلك لهذا أبداً .

كذلك قوله :﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[الزخرف:٨٤]، وقوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، وقوله :﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ [الأنعام:٣]، وقوله:﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة :٧]، فليس هذا بناسخ لهذا ، ولا هذا ضد لذلك .

واعلم أن هذه الآيات ليس معناها أن الله أراد الكون بذاته ، فيكون في أسفل الأشياء،أو ينتقل فيها لانتقالها ،ويتبعض فيها على أقدارها، ويزول عنها عند فنائها،

٥/٦٨ جل وعز عن ذلك ، وقد نزع بذلك بعض أهل الضلال، فزعموا أن اللّه / تعالى في كل مكان بنفسه كائناً ، كما هو على العرش ، لا فرقان بين ذلك ، ثم أحالوا في النفي بعد تثبيت ما يجوز عليه في قولهم ما نفوه ؛ لأن كل من يثبت شيئاً في المعنى ثم نفاه بالقول لم يغن عنه نفيه بلسانه ، واحتجوا بهذه الآيات أن اللّه ـ تعالى ـ في كل شيء بنفسه كائناً، ثم نفوا معنى ما أثبتوه فقالوا : لا كالشيء في الشيء .

قال أبو عبد اللّه لنا قوله : ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾ [محمد: ٣١]﴿فَسَيَرَى(١) اللَّهُ﴾[التوبة: ١٠٥] و﴿ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥] فإنما معناه حتى يكون الموجود فيعلمه موجوداً ، ويسمعه مسموعا، ويبصره مبصراً ، لا على استحداث علم ولا سمع ولا بصر .

وأما قوله: ﴿ إِذَا أَرَدْنَا﴾[الإسراء: ١٦] : إذا جاء وقت كون المراد فيه .

وأن قوله :﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢] فهذا وغيره مثل قوله :﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] هذا منقطع يوجب أنه فوق العرش ، فوق الأشياء كلها، منزه عن الدخول في خلقه ، لا يخفى عليه منهم خافية ؛ لأنه أبان في هذه الآيات أنه أراد أنه بنفسه فوق عباده ؛ لأنه قال :﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦] يعني فوق العرش ، والعرش على السماء ؛ لأن من قد كان فوق كل شيء على السماء، في السماء، وقد قال مثل ذلك في قوله: ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] يعني: على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها ، وكذلك قوله : ﴿يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٢٦] يعني: على الأرض، لا يريد الدخول في جوفها وكذلك قوله: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾[طه: ٧١] يعني: فوقها عليها .

٥/٦٩ / وقال: ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم فصل فقال: ﴿ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦] ولم يصل ،فلم يكن لذلك معنى ـ إذا فصل قوله: ﴿مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ ثم استأنف التخويف بالخسف ـ إلا أنه على عرشه فوق السماء .

وقال تعالى :﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥]، وقال: ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج: ٤]،فبين عروج الأمر وعروج الملائكة ، ثم وصف وقت صعودها بالارتفاع صاعدة إليه فقال : ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤] فقال :صعودها إليه وفصله من قوله إليه، كقول القائل: اصعد إلى فلان

(١) في المطبوعة :« وسيرى» ، والصحيح ما أثبتناه.

في ليلة أو يوم . وذلك أنه في العلو وإن صعودك إليه في يوم ، فإذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى اللّه ـ عز وجل ـ، وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه فإنهم صعدوا من الأرض ، وعرجوا بالأمر إلى العلو، قال تعالى : ﴿ **بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ** ﴾ [النساء:١٥٨] ولم يقل: عنده .

وقال فرعون : ﴿**يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ . أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ**﴾ [غافر:٣٦، ٣٧]، ثم استأنف الكلام فقال: ﴿ **وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا** ﴾[غافر:٣٧] فيما قال لي أن إلهه فوق السموات .

فبين اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أن فرعون ظن بموسى أنه كاذب فيما قال، وعمد لطلبه حيث قاله مع الظن بموسى أنه كاذب ، ولو أن موسى قال : إنه في كل مكان بذاته، لطلبه في بيته ، أو في بدنه ، أو حُشِّه[1]، فتعالى اللّه عن ذلك ، ولم يجهد نفسه ببنيان الصرح[2] .

٥/٧٠ / قال أبو عبد اللّه : وأما الآي التي يزعمون أنها قد وصلها ـ ولم يقطعها كما قطع الكلام الذي أراد به أنه على عرشه ـ فقال : ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**﴾ فأخبر بالعلم ثم أخبر أنه مع كل مناج، ثم ختم الآية بالعلم بقوله : ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [المجادلة:٧] .

فبدأ بالعلم ، وختم بالعلم ، فبين أنه أراد أنه يعلمهم حيث كانوا ، لا يخفون عليه، ولا يخفى عليه مناجاتهم . ولو اجتمع القوم في أسفل ، وناظر إليهم في العلو، فقال : إني لم أزل أراكم ، وأعلم مناجاتكم لكان صادقاً ـ وللّه المثل الأعلى أن يشبه الخلق ـ فإن أبَوْا إلا ظاهر التلاوة وقالوا: هذا منكم دعوى، خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة ؛ لأن من هو مع الاثنين فأكثر ، هو معهم لا فيهم ، ومن كان مع شيء خلا جسمه ، وهذا خروج من قولهم .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ** ﴾[ق:١٦]، لأن ما قرب من الشيء ليس هو في الشيء ، ففي ظاهر التلاوة على دعواهم أنه ليس في حبل الوريد . وكذلك قوله : ﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ**﴾[الزخرف:٨٤] لم يقل: في السماء ثم قطع ـ كما قال :﴿ **أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ** ﴾ ثم قطع فقال : ﴿ **أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ**﴾ [الملك :١٦] ـ فقال :﴿**وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ** ﴾ يعني: إله أهل السماء وإله

(١) الحُشُّ: البستان، ويطلق على مخرج الغائط. انظر: المصباح المنير، مادة «حشش».

(٢) الصَّرْح: بيت واحد يُبنى مفردًا طويلاً ضخمًا . انظر: المصباح المنير، مادة «صرح».

أهل الأرض وذلك موجود في اللغة ، تقول : فلان أمير في خراسان ، وأمير في بلخ، وأمير في سمرقند؛ وإنما هو في موضع واحد ، ويخفى عليه ما وراءه فكيف العالى فوق الأشياء ، لا يخفى عليه شيء من الأشياء يدبره، ، فهو إله فيهما / إذ كان مدبراً ٥/٧١
لهما ، وهو على عرشه وفوق كل شيء، تعالى عن الأشباه والأمثال » . ا.هـ .

وقال الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف في كتابه الذي سماه « اعتقاد التوحيد بإثبات الأسماء والصفات »، قال في آخر خطبته : «فاتفقت أقوال المهاجرين والأنصار في توحيد الله ـ عز وجل ـ ومعرفة أسمائه وصفاته وقضائه ، قولا واحداً وشرعاً ظاهراً، وهم الذين نقلوا عن رسول اللهﷺ ذلك حتى قال: « عليكم بسنتي » وذكر الحديث(١). وحديث« لعن الله من أحدث حدثاً »(٢) قال : فكانت كلمة الصحابة على الاتفاق من غير اختلاف ـ وهم الذين أُمرنا بالأخذ عنهم؛ إذ لم يختلفوا بحمد الله تعالى في أحكام التوحيد ، وأصول الدين من « الأسماء والصفات » ، كما اختلفوا في الفروع ، ولو كان منهم في ذلك اختلاف لنقل إلينا ، كما نقل سائر الاختلاف ـ فاستقر صحة ذلك عند خاصتهم وعامتهم، حتى أدوا ذلك إلى التابعين لهم بإحسان ، فاستقر صحة ذلك عند العلماء المعروفين ، حتى نقلوا ذلك قرناً بعد قرن ؛ لأن الاختلاف كان عندهم في الأصل كفر ، ولله المنة .

ثم إني قائل ـ وبالله أقول ـ :إنه لما اختلفوا في أحكام التوحيد وذكر الأسماء والصفات على خلاف منهج المتقدمين ، من الصحابة والتابعين ، فخاضوا في ذلك من لم يعرفوا بعلم الآثار ، ولم يعقلوا قولهم بذكر الأخبار ، وصار معولهم على أحكام هوى حسن النفس المستخرجة من سوء الظن به ، على مخالفة السنة والتعلق منهم بآيات لم يسعدهم فيها ما وافق النفوس ، فتأولوا على ما وافق هواهم /وصححوا بذلك ٥/٧٢
مذهبهم: احتجت إلى الكشف عن صفة المتقدمين ، ومأخذ المؤمنين ، ومنهاج الأولين؛ خوفاً من الوقوع في جملة أقاويلهم التي حذر رسول الله ﷺ أمته ومنع المستجيبين له حتى حذرهم.

ثم ذكر أبو عبد الله خروج النبي ﷺ وهم يتنازعون في القدر وغضبه(٣) ، وحديث «لا أُلْفِيَنَّ أحَدَكم »(٤) وحديث « ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة »(٥) فإن الناجية ما كان عليه هو وأصحابه ،ثم قال : فلزم الأمة قاطبة معرفة ما كان عليه الصحابة، ولم يكن الوصول إليه إلا من جهة التابعين لهم بإحسان ، المعروفين بنقل الأخبار ممن لا

---

(١) أبو داود فى السنة (٤٦٠٧) والترمذى فى العلم (٢٦٧٦) وقال :«حسن صحيح» وابن ماجه في المقدمة (٤٢).
(٢) البخارى فى الاعتصام (٧٣٠٦) ومسلم فى الحج (١٣٦٦/٤٦٣) .
(٣) أحمد ٢/ ١٩٦ والترمذى فى القدر (٢١٣٣) وقال : « غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .
(٤) مسلم فى الإمارة (١٨٣١ / ٢٤) ، وأحمد ٢ / ٤٢٦ . (٥) سبق تخريجه ص ١٦ .

يقبل المذاهب المحدثة ، فيتصل ذلك قرناً بعد قرن ممن عرفوا بالعدالة والأمانة، الحافظين على الأمة مالهم وما عليهم من إثبات السنة ـ إلى أن قال:

فأول ما نبتدئ به ما أوردنا هذه المسألة من أجلها ذكر « أسماء اللّه عز وجل » في كتابه، وما بيَّن ﷺ من « صفاته » في سنته، وما وصف به ـ عز وجل ـ مما سنذكر قول القائلين بذلك ، مما لايجوز لنا في ذلك أن نرده إلى أحكام عقولنا بطلب الكيفية بذلك ، ومما قد أمرنا بالاستسلام له ـ إلى أن قال:

ثم إن اللّه تعرف إلينا بعد إثبات الوحدانية والإقرار بالألوهية ، أن ذكر ـ تعالى ـ في كتابه بعد التحقيق ، بما بدأ من أسمائه وصفاته ، وأكد ـ عليه السلام ـ بقوله، / فقبلوا منه كقبولهم لأوائل التوحيد من ظاهر قوله : لا إله إلا اللّه ، إلى أن قال ٥/٧٣
بإثبات نفسه بالتفصيل من المجمل. فقال لموسى عليه السلام : ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[طه: ٤١]، وقال: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾[آل عمران: ٢٨، ٣٠] .

ولصحة ذلك واستقرار ما جاء به المسيح ـ عليه السلام ـ فقال : ﴿ **تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ** ﴾ [المائدة :١١٦] ، وقال عز وجل :﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام :٥٤]. .

وأكد ـ عليه السلام ـ صحة إثبات ذلك في سنته فقال : «يقول اللّه عز وجل : من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي» (١) ،وقال: « كتب كتاباً بيده على نفسه : إن رحمتي غلبت غضبي »(٢) ،وقال: «سبحان اللّه رضى نفسه »(٣) ،وقال في محاجة آدم لموسى: «أنت الذي اصطفاك اللّه واصطنعك لنفسه »(٤) فقد صرح بظاهر قوله أنه أثبت لنفسه نفساً، وأثبت له الرسول ذلك ، فعلى من صدق اللّه ورسوله اعتقاد ما أخبر به عن نفسه، ويكون ذلك مبنياً على ظاهر قوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى: ١١] .

ثم قال : فعلى المؤمنين خاصتهم وعامتهم قبول كل ما ورد عنه ـ عليه السلام ـ بنقل العدل عن العدل ، حتى يتصل به ﷺ ، وإن مما قضى اللّه علينا في كتابه ،ووصف به نفسه ، ووردت السنة بصحة ذلك أن قال :﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [النور: ٣٥] ثم
قال عقيب ذلك : ﴿**نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ**﴾[النور: ٣٥]، وبذلك دعاه / ﷺ :«أنت نور السموات ٥/٧٤
والأرض» (٥) ثم ذكر حديث أبي موسى : «حجابه النور ـ أو النار ـ لو كشفه لأحرقت

(١) البخارى فى التوحيد (٧٤٠٥) ومسلم فى الذكر والدعاء (٢٦٧٥ / ٢) . (٢) سبق تخريجه ص ١٣ .
(٣) مسلم في الذكر (٢٧٢٦/٧٩)، وأبو داود في الصلاة (١٥٠٣)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥٥)، وأحمد ٦/ ٤٣٠، عن جويرية.
(٤) البخارى فى التفسير (٤٧٣٦) ومسلم فى القدر (٢٦٥٢ / ١٣) .
(٥) البخارى فى التهجد (١١٢٠) ومسلم فى صلاة المسافرين (٧٦٩ / ١٩٩) .

سُبُحَاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[1]وقال: سبحات وجهه: جلاله ونوره، نقله عن الخليل وأبي عبيد ، وقال : قال عبد اللّه بن مسعود: نورّ السموات نورُ وجهه .

ثم قال: ومما ورد به النص أنه حي، وذكر قوله تعالى : ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. والحديث: «يا حي، يا قيوم، برحمتك أستغيث»[2] ، قال : ومما تعرف اللّه إلى عباده أن وصف نفسه، أن له وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام فأثبت لنفسه وجها ـ وذكر الآيات .

ثم ذكر حديث أبى موسى المتقدم ، فقال: في هذا الحديث من أوصاف اللّه ـ عز وجل ـ لا ينام ، موافق لظاهر الكتاب : ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وأن له «وجهاً» موصوفاً بالأنوار، وأن له «بصراً» كما علمنا في كتابه أنه سميع بصير .

ثم ذكر الأحاديث في إثبات الوجه ، وفي إثبات السمع والبصر ، والآيات الدالة على ذلك.

ثم قال : ثم إن اللّه ـ تعالى ـ تعرف إلى عباده المؤمنين ، أن قال : له يدان قد بسطهما بالرحمة ، وذكر الأحاديث في ذلك ، ثم ذكر شعر أمية بن أبي الصلت .

٥/٧٥ /ثم ذكر حديث :« يلقى في النار وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رجله»[3] وهي رواية البخاري، وفي رواية أخرى : « يضع عليها قدمه » [4].

ثم ما رواه مسلم البطين عن ابن عباس: أن الكرسي موضع القدمين، وأن العرش لا يقدر قدره إلا اللّه ، وذكر قول مسلم البطين نفسه ، وقول السدى ، وقول وهب بن منبه، وأبى مالك،وبعضهم يقول :موضع قدميه ،وبعضهم يقول: واضع رجليه عليه.

ثم قال : فهذه الروايات قد رويت عن هؤلاء من صدر هذه الأمة ،موافقة لقول النبي ﷺ ،متداولة في الأقوال ، ومحفوظة في الصدر ، ولا ينكر خلف عن السلف ، ولا ينكر عليهم أحد من نظرائهم ،نقلتها الخاصة والعامة مدونة في كتبهم ، إلى أن حدث

---

(١) مسلم فى الإيمان (١٧٩ / ٢٩٣) وابن ماجة فى المقدمة (١٩٥) وأحمد ٤ / ٤٠١ .

(٢) الترمذى فى الدعوات (٣٥٢٤) وقال : « حديث غريب » .

(٣) البخاري في التفسير (٤٨٥٠) عن أبي هريرة.

(٤) البخارى في التفسير (٤٨٤٨) عن أنس ، (٤٨٤٩) عن أبي هريرة.

في آخر الأمة من قلل الله عددهم، ممن حذرنا رسول الله ﷺ عن مجالستهم ومكالمتهم، وأمرنا ألا نعود مرضاهم، ولا نشيع جنائزهم ، فقصد هؤلاء إلى هذه الروايات فضربوها بالتشبيه ، وعمدوا إلى الأخبار فعملوا في دفعها إلى أحكام المقاييس ، وكفر المتقدمين وأنكروا على الصحابة والتابعين ، وردوا على الأئمة الراشدين ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل .

ثم ذكر المأثور عن ابن عباس ، وجوابه لنجدة الحروري ، ثم حديث « الصورة»، وذكر أنه صنف فيه كتاباً مفرداً ، واختلاف الناس في تأويله ./ ثم قال : وسنذكر ٥/٧٦
أصول السنة وما ورد من الاختلاف فيما نعتقده فيما خالفنا فيه أهل الزيغ، وما وافقنا فيه أصحاب الحديث من المثبتة ـ إن شاء الله .

ثم ذكر الخلاف في الإمامة واحتج عليها ، وذكر اتفاق المهاجرين والأنصار على تقديم « الصديق » وأنه أفضل الأمة .

ثم قال : وكان الاختلاف في « خلق الأفعال »: هل هي مقدرة أم لا ؟ قال: وقولنا فيها: إن أفعال العباد مقدرة معلومة ، وذكر إثبات القدر . ثم ذكر الخلاف في أهل «الكبائر» ومسألة « الأسماء والأحكام » وقال : قولنا فيها إنهم مؤمنون على الإطلاق وأمرهم إلى الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء عفا عنهم .

وقال : أصل الإيمان موهبة يتولد منها أفعال العباد ، فيكون أصل التصديق والإقرار والأعمال ، وذكر الخلاف في زيادة الإيمان ونقصانه . وقال: قولنا إنه يزيد وينقص . قال : ثم كان الاختلاف في القرآن مخلوقا وغير مخلوق ، فقولنا وقول أئمتنا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق ، وأنه صفة الله ، منه بدأ قولاً، وإليه يعود حكماً . ثم ذكر الخلاف في الرؤية وقال : قولنا وقول أئمتنا فيما نعتقد إن الله يرى في القيامة، وذكر الحجة.

ثم قال : اعلم ـ رحمك الله ـ أني ذكرت أحكام الاختلاف على ما ورد من ترتيب المحدِّثين في كل الأزمنة ، وقد بدأت أن أذكر أحكام الجمل من العقود . فنقول ونعتقد: إن الله ـ عز وجل ـ له عرش، وهو على عرشه فوق سبع سمواته/ بكل أسمائه ٥/٧٧
وصفاته؛ كما قال : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾ [طه: ٥]، ﴿**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**﴾ [السجدة : ٥] ، ولا نقول: إنه في الأرض كما هو في السماء على عرشه لأنه عالم بما يجري على عباده : ﴿ **ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ**﴾ [السجدة: ٥] .

إلى أن قال :ونعتقد أن الله ـ تعالى ـ خلق الجنة والنار ،وأنهما مخلوقتان للبقاء ،

لا للفناء . إلى أن قال : ونعتقد أن النبي ﷺ عرج بنفسه إلى سدرة المنتهى . إلى أن قال: ونعتقد أن اللّه قبض قبضتين فقال : « هؤلاء للجنة، وهؤلاء للنار » .

ونعتقد أن للرسول ﷺ حوضاً، ونعتقد أنه أول شافع وأول مشفع. وذكر «الصراط» و «الميزان» و « الموت» وأن المقتول قتل بأجله واستوفى رزقه .

إلى أن قال : ومما نعتقد أن اللّه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر؛ فيبسط يده فيقول: «ألا هل من سائل » الحديث (١)، وليلة النصف من شعبان، وعشية عرفة، وذكر الحديث في ذلك (٢). قال : ونعتقد أن اللّه ـ تعالى ـ كلم موسى تكليماً، واتخذ إبراهيم خليلا ، وأن الخُلَّة غير الفقر ، لا كما قال أهل البدع .

ونعتقد أن اللّه ـ تعالى ـ خص محمداً ﷺ بالرؤية ،واتخذه خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا . ونعتقد أن اللّه ـ تعالى ـ اختص بمفتاح خمس من الغيب لا يعلمها إلا اللّه: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤] .

٥/٧٨ / ونعتقد المسح على الخفين ثلاثاً للمسافر ، ويوماً وليلة للمقيم . ونعتقد الصبر على السلطان من قريش ، ما كان من جور أو عدل ، ما أقام الصلاة من الجمع والأعياد. والجهاد معهم ماض إلى يوم القيامة، والصلاة في الجماعة حيث ينادى لها واجب ؛ إذا لم يكن عذر أو مانع ، والتراويح سنة ، ونشهد أن من ترك الصلاة عمداً فهو كافر ، والشهادة والبراءة بدعة ، والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة ، ولا نتزل أحداً جنة ولا ناراً حتى يكون اللّه ينزلهم ؛ والمراء والجدال في الدين بدعة.

ونعتقد أن ما شجر بين أصحاب رسول اللّه ﷺ أمرهم إلى اللّه، ونترحم على عائشة ونترضى عنها ، والقول في اللفظ والملفوظ ، وكذلك في الاسم والمسمى بدعة، والقول في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق بدعة .

واعلم أني ذكرت اعتقاد أهل السنة على ظاهر ما ورد عن الصحابة والتابعين مجملا من غير استقصاء؛ إذ تقدم القول من مشائخنا المعروفين من أهل الإبانة والديانة،إلا أني أحببت أن أذكر« عقود أصحابنا المتصوفة»،فيما أحدثته طائفة نسبوا إليهم ما قد تخرصوا

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٨ .

(٢) أحمد ٢/ ١٧٦ عن عبد الله بن عمرو، وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٣٨٨) عن علي بن أبي طالب وفي الزوائد :« إسناده ضعيف، لضعف ابن أبي سبرة، واسمه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة. قال فيه أحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث»، (١٣٨٩) عن عائشة، (١٣٩٠) عن أبي موسى الأشعري ، وفي الزوائد : «إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن لهيعة وتدليس الوليد بن مسلم. قال السدى: ابن عرزب لم يلق أبا موسى. قاله المنذري ، كذا بخطه».

من القول بما نزه الله تعالى المذهب وأهله من ذلك.

إلى أن قال : وقرأت لمحمد بن جرير الطبري في كتاب سماه: «التبصير» ، كتب بذلك إلى أهل طبرستان في اختلاف عندهم، وسألوه أن يصنف لهم/ ما يعتقده ٥/٧٩
ويذهب إليه ، فذكر في كتابه اختلاف القائلين برؤية الله ـ تعالى ـ فذكر عن طائفة إثبات الرؤية في الدنيا والآخرة .

ونسب هذه المقالة إلى « الصوفية » قاطبة لم يخص طائفة، فبين أن ذلك على جهالة منه بأقوال المخلصين منهم ، وكان من نسب إليه ذلك القول ـ بعد أن ادعى على الطائفة ـ ابن أخت عبد الواحد بن زيد، والله أعلم محله عند المخلصين ، فكيف بابن أخته. وليس إذا أحدث الزائغ في نحلته قولا نسب إلى الجملة ؛ كذلك في الفقهاء والمحدثين ليس من أحدث قولا في الفقه، وليس فيه حديث يناسب ذلك، ينسب ذلك إلى جملة الفقهاء والمحدثين .

واعلم أن لفظ « الصوفية » وعلومهم تختلف ، فيطلقون ألفاظهم على موضوعات لهم ، ومرموزات وإشارات تجرى فيما بينهم، فمن لم يداخلهم على التحقيق ، ونازل ما هم عليه ، رجع عنهم وهو خاسئ وحسير .

ثم ذكر إطلاقهم لفظ « الرؤية » بالتقييد ، فقال : كثيراً ما يقولون: رأيت الله يقول. وذكر عن جعفر بن محمد قوله لما سئل : هل رأيت الله حين عبدته ؟ قال: رأيت الله ثم عبدته . فقال السائل: كيف رأيته ؟ فقال : لم تره الأبصار بتحديد الأعيان، ولكن رؤية القلوب بتحقيق الإيقان ، ثم قال : وإنه تعالى يرى في الآخرة كما أخبر في كتابه، وذكره رسوله ﷺ .

هذا قولنا وقول أئمتنا ، دون الجهال من أهل الغباوة فينا .

/وإن مما نعتقده: أن الله حرم على المؤمنين دماءهم وأموالهم وأعراضهم ، وذكر ٥/٨٠
ذلك في حجة الوداع[1]، فمن زعم أنه يبلغ مع الله إلى درجة يبيح الحق له ما حظر على المؤمنين ـ إلا المضطر على حال يلزمه إحياء للنفس لو بلغ العبد ما بلغ من العلم والعبادات ـ فذلك كفر بالله، وقائل ذلك قائل بالإباحة، وهم المنسلخون من الديانة .

وأن مما نعتقده :ترك إطلاق تسمية « العشق » على الله ـ تعالى . وبين أن ذلك لا يجوز لاشتقاقه ولعدم ورود الشرع به، وقال :أدنى ما فيه أنه بدعة وضلالة ،وفيما نص

(١) مسلم فى الحج (١٢١٨ / ١٤٧) .

اللّه من ذكر المحبة كفاية .

وإن مما نعتقده : أن اللّه لا يحل في المرئيات ،وأنه المتفرد بكمال أسمائه وصفاته ، بائن من خلقه مستو على عرشه ، وأن القرآن كلامه غير مخلوق ـ حيثما تلي ودرس وحفظ ـ ونعتقد أن اللّه تعالى اتخذ إبراهيم خليلا واتخذ نبينا محمداً ﷺ خليلا وحبيبا، والخلة لهما منه، على خلاف ما قاله المعتزلة : إن الخلة الفقر والحاجة. إلى أن قال:

والخلة والمحبة صفتان للّه هو موصوف بهما، ولا تدخل أوصافه تحت التكييف والتشبيه، وصفات الخلق من المحبة والخلة جائز عليها الكيف، فأما صفاته ـ تعالى ـ فمعلومة في العلم، وموجودة في التعريف، قد انتفى عنهما التشبيه، فالإيمان به واجب، واسم الكيفية عن ذلك ساقط .

٥/٨١ / ومما نعتقده: أن اللّه أباح المكاسب والتجارات والصناعات ، وإنما حرم اللّه الغش والظلم ، وأما من قال بتحريم تلك المكاسب فهو ضال مضل مبتدع ؛ إذ ليس الفساد والظلم والغش من التجارات والصناعات في شيء ، إنما حرم اللّه ورسوله الفساد، لا الكسب والتجارات ؛ فإن ذلك على أصل الكتاب والسنة جائز إلى يوم القيامة ، وإن مما نعتقد: أن اللّه لا يأمر بأكل الحلال ، ثم يعدمهم الوصول إليه من جميع الجهات؛ لأن ماطالبهم به موجود إلى يوم القيامة؛ والمعتقد أن الأرض تخلو من الحلال، والناس يتقلبون في الحرام ، فهو مبتدع ضال، إلا أنه يقل في موضع ويكثر في موضع، لا أنه مفقود من الأرض .

ومما نعتقده: أنا إذا رأينا من ظاهره جميل لا نتهمه في مكسبه وماله وطعامه، جائز أن يؤكل طعامه ، والمعاملة في تجارته ، فليس علينا الكشف عما قاله . فإن سأل سائل على سبيل الاحتياط ، جاز إلا من داخل الظلمة .

ومن ينزع عن الظلم ، وأخذ الأموال بالباطل ومعه غير ذلك ، فالسؤال والتوقي؛ كما سأل الصديق غلامه ، فإن كان معه من المال سوى ذلك مما هو خارج عن تلك الأموال فاختلطا ، فلا يطلق عليه الحلال ولا الحرام ، إلا أنه مشتبه ؛ فمن سأل استبرأ لدينه كما فعل الصديق . وأجاز ابن مسعود وسلمان الأكل منه وعليه التبعة ، والناس طبقات ، والدينُ الحنيفيةُ السمحة .

٥/٨٢ وإن مما نعتقد: أن العبد مادام أحكام الدار جارية عليه، فلا يسقط عنه / الخوف والرجاء ، وكل من ادعى «الأمن» فهو جاهل باللّه، ومما أخبر به عن نفسه: ﴿فَلَا(١) يَأْمَنُ

(١) في المطبوعة :« ولا» ، والصحيح ما أثبتناه.

مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ،وقد أفردت كشف عورات من قال بذلك.

ونعتقد أن العبودية لا تسقط عن العبد ما عقل وعلم ما له وما عليه ، فيبقى على أحكام القوة والاستطاعة ؛ إذ لم يسقط اللّه ذلك عن الأنبياء ،والصديقين ، والشهداء، والصالحين ، ومن زعم أنه قد خرج عن رق العبودية إلى فضاء الحرية بإسقاط العبودية، والخروج إلى أحكام الأحدية المسَدِّية بعلائق الآخرية ،فهو كافر لا محالة، إلا من اعتراه علة ، أو رأفة ، فصار معتوها أو مجنوناً أو مبرسماً ، وقد اختلط عقله أو لحقه غشية يرتفع عنه بها أحكام العقل ، وذهب عنه التمييز والمعرفة ، فذلك خارج عن الملة مفارق للشريعة .

ومن زعم الإشراف على الخلق ، يعلم مقاماتهم ومقدارهم عند اللّه ـ بغير الوحي المنزل من قول رسول اللّه ﷺ ـ فهو خارج عن الملة ، ومن ادعى أنه يعرف مآل الخلق ومنقلبهم ، وعلى ماذا يموتون عليه ويختم لهم ـ بغير الوحي من قول اللّه وقول رسوله ـ فقد باء بغضب من اللّه .

و«الفراسة» حق على أصول ما ذكرناه ، وليس ذلك مما رسمناه في شيء، ومن زعم أن صفاته تعالى بصفاته ـ ويشير في ذلك إلى غير آية العظمة والتوفيق والهداية ـ وأشار إلى صفاته عز وجل القديمة، فهو حلولي قائل باللاهوتية ، والالتحام ، وذلك كفر لا محالة.

/ ونعتقد أن الأرواح كلها مخلوقة ، ومن قال: إنها غير مخلوقة فقد ضاهى قول ٥/٨٣
النصارى ـ النسطورية ـ في المسيح ، وذلك كفر باللّه العظيم . ومن قال : إن شيئا من صفات اللّه حال في العبد ، أو قال بالتبعيض على اللّه فقد كفر ، والقرآن كلام اللّه ليس بمخلوق ، ولا حال في مخلوق ؛ وأنه كيفما تلى ، وقرئ ، وحفظ، فهو صفة اللّه ـ عز وجل ـ وليس الدرس من المدروس، ولا التلاوة من المتلو ؛ لأنه ـ عز وجل ـ بجميع صفاته وأسمائه غير مخلوق ، ومن قال بغير ذلك فهو كافر .

ونعتقد أن القراءة « الملحنة » بدعة وضلالة .

وأن « القصائد » بدعة، ومجراها على قسمين : فالحسن من ذلك من ذكر آلاء اللّه ونعمائه وإظهار نعت الصالحين وصفة المتقين ، فذلك جائز ، وتركه والاشتغال بذكر اللّه والقرآن والعلم أولى به ، وما جرى على وصف المرئيات ونعت المخلوقات فاستماع ذلك على اللّه كفر ، واستماع الغناء والربعيات على اللّه كفر ، والرقص بالإيقاع ونعت الرقاصين على أحكام الدين فسق ، وعلى أحكام التواجد والغناء لهو ولعب .

وحرام على كل من يسمع القصائد والربعيات الملحنة ـ الجائي بين أهل الأطباع ـ على أحكام الذكر، إلا لمن تقدم له العلم بأحكام التوحيد ،ومعرفة أسمائه وصفاته، وما يضاف إلى اللّه ـ تعالى ـ من ذلك ، وما لا يليق به ـ عز وجل ـ مما هو منزه عنه ، فيكون استماعه كما قال : ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ الآية [الزمر :١٨] .

٥/٨٤ / وكل من جهل ذلك وقصد استماعه على اللّه على غير تفصيله فهو كفر لا محالة، فكل من جمع القول وأصغى بالإضافة إلى اللّه فغير جائز، إلا لمن عرف بما وصفت من ذكر اللّه ونعمائه ، وما هو موصوف به ـ عز وجل ـ مما ليس للمخلوقين فيه نعت ولا وصف ، بل ترك ذلك أولى وأحوط ، والأصل في ذلك أنها بدعة، والفتنة فيها غير مأمونة على استماع الغناء .

و«الربعيات » بدعة ، وذلك مما أنكره المطلبي ومالك والثوري ، ويزيد بن هارون وأحمد بن حنبل ، وإسحاق ، والاقتداء بهم أولى من الاقتداء بمن لا يعرفون في الدين، ولا لهم قدم عند المخلصين .

وبلغني أنه قيل لبشر بن الحارث : إن أصحابك قد أحدثوا شيئاً يقال له: القصائد. قال :مثل إيش ؟ قال: مثل قوله :

اصبري يانفس حتى تسكني دار الجليل

فقال : حسن . وأين يكون هؤلاء الذين يستمعون ذلك ؟ قال: قلت: ببغداد . فقال: كذبوا ـ واللّه الذي لا إله غيره ـ لا يسكن ببغداد من يستمع ذلك .

قال أبو عبد اللّه : ومما نقول ـ وهو قول أئمتنا ـ : إن الفقير إذا احتاج وصبر ولم يتكفف إلى وقت يفتح اللّه له كان أعلى ، فمن عجز عن الصبر كان السؤال أولى به على قوله ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حَبْلَه» الحديث (١)،ونقول : إن ترك المكاسب غير
٥/٨٥ جائز إلا بشرائط موسومة من التعفف والاستغناء /عما في أيدي الناس ، ومن جعل السؤال حرفة ـ وهو صحيح ـ فهو مذموم في الحقيقة خارج .

ونقول : إن المستمع إلى « الغناء ، والملاهي » فإن ذلك كما قال ـ عليه السلام ـ: «الغناء ينبت النفاق في القلب » (٢)،وإن لم يكفر فهو فسق لا محالة .

---

(١) البخاري في الزكاة (١٤٧١)، (١٤٨٠)، والنسائي في الزكاة (٢٥٨٩)، و ابن ماجه في الزكاة (١٨٣٦)، وأحمد ٢/ ٢٥٧، كلهم عن أبي هريرة، إلا عند ابن ماجه فهو عن هشام بن عروة عن أبيه عن جده.

(٢) أبو داود في الأدب (٤٩٢٧) وضعفه الألباني.

والذي نختار : قول أئمتنا : أن ترك المراء في الدين ، والكلام في الإيمان مخلوق أو غير مخلوق، ومن زعم أن الرسول ﷺواسط يؤدى ، وأن المرسل إليهم أفضل - فهو كافر باللّه ، ومن قال بإسقاط الوسائط على الجملة فقد كفر . ا.هـ .

ومن متأخريهم الشيخ الإمام أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني ، قال في كتاب « الغنية » : أما معرفة الصانع بالآيات والدلالات على وجه الاختصار، فهو أن يعرف ويتيقن أن اللّه واحد أحد . إلى أن قال :

وهو بجهة العلو مستو على العرش، محتو على الملك، محيط علمه بالأشياء﴿**إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿**يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [السجدة :٥]؛ ولا يجوز وصفه بأنه في كل مكان ، بل يقال: إنه في السماء على العرش ، كما قال : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥].

٥/٨٦ / وذكر آيات وأحاديث إلى أن قال :وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل ، وأنه استواء الذات على العرش قال : وكونه على العرش مذكورٌ في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل بلا كيف . وذكر كلاما طويلا لا يحتمله هذا الموضع ، وذكر في سائر الصفات نحو هذا .

ولو ذكرت ماقاله العلماء في هذا لطال الكتاب جداً .

قال أبوعمر بن عبد البر : روينا عن مالك بن أنس ، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي، ومعمر بن راشد « في أحاديث الصفات » أنهم كلهم قالوا : أمِرُّوها كما جاءت ؛ قال أبو عمر: ما جاء عن النبي ﷺ من نقل الثقات أو جاء عنه أصحابه - رضي اللّه عنهم - فهو علم يُدَان به ، وما أحدث بعدهم - ولم يكن له أصل فيما جاء عنهم - فهو بدعة وضلالة .

وقال في «شرح الموطأ» لما تكلم على حديث النزول، قال : هذا حديث ثابت النقل صحيح من جهة الإسناد، ولا يختلف أهل الحديث في صحته ، وهو منقول من طرق - سوى هذه - من أخبار العدول عن النبي ﷺ ، وفيه دليل على أن اللّه في السماء على العرش استوى من فوق سبع سموات ، كما قالت الجماعة ، وهو من حجتهم على «المعتزلة» في قولهم : إن اللّه - تعالى - في كل مكان بذاته المقدسة .

٥/٨٧ قال: والدليل على صحة ما قال أهل الحق قول اللّه - وذكر بعض الآيات -/ إلى أن

قال : وهذا أشهر وأعرف عند العامة والخاصة من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته ؛ لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد ، ولا أنكره عليهم مسلم .

وقال أبو عمر بن عبد البر أيضاً : أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله: ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ** ﴾ [المجادلة: ٧] : هو على العرش وعلمه في كل مكان ، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله .

وقال أبوعمر أيضا : أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة ، لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك ، ولا يَحُدُّون فيه صفة محصورة .

وأما أهل البدع ـ الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج ـ فكلهم ينكرونها ، ولا يحملون شيئا منها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقر بها مشبه ،وهم عند من أقر بها نافون للمعبود ،والحق فيما قاله القائلون بما نطق به كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ،وهم أئمة الجماعة .

هذا كلام ابن عبد البر إمام أهل المغرب .

وفي عصره الحافظ أبوبكر البيهقي، مع توليه للمتكلمين من أصحاب أبي الحسن الأشعري، وذبه عنهم، قال: في كتابه «الأسماء والصفات»:

٥/٨٨ باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين ـ لا من حيث الجارحة ـ لورود خبر/ الصادق به، قال الله تعالى: ﴿ **يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ** ﴾[ص: ٧٥]، وقال: ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾[المائدة: ٦٤].

وذكر الأحاديث الصحاح في هذا الباب، مثل قوله في غير حديث، في حديث الشفاعة: «يا آدم، أنت أبو البشر خلقك الله بيده»(١) ،ومثل قوله في الحديث المتفق عليه: «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه، وخط لك الألواح بيده»(٢) ،وفي لفظ: «وكتب لك التوراة بيده»(٣)، ومثل ما في صحيح مسلم «أنه ـ سبحانه ـ غرس كرامة أوليائه في جنة عدن بيده» (٤)،ومثل قوله ﷺ : « تكون الأرض يوم القيامة خُبْزَةً واحدة يتكفؤها الجبار

---

(١) البخارى فى التوحيد (٧٥١٦) ، ومسلم فى الإيمان (١٩٤ / ٣٢٧) .

(٢) البخاري في التوحيد (٧٤١٠)، ومسلم في الإيمان (١٩٣/ ٣٢٢) عن أنس .

(٣) مسلم في القدر (٢٦٥٢/ ١٣) عن أبي هريرة.

(٤) مسلم في الإيمان (١٨٩/ ٣١٢) عن المغيرة بن شعبة.

بيده كما يتكفأ أحدكم خُبْزَته في السفر؛ نُزُلاً لأهل الجنة»[1] .

وذكر أحاديث مثل قوله : « بيدي الأمر» [2]،«والخير في يديك » [3]،« والذي نفس محمد بيده» [4]و «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»[5] ،وقوله:«المقسطون عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين» [6]،وقوله:«يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول :أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟»[7].

وقوله:«يمين الله ملأى لا يَغيضُها نفقة، سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض مافي يمينه وعرشه على الماء،/ وبيده الأخرى القسط يخفض ويرفع» [8]وكل هذه الأحاديث في الصحاح. ٥/٨٩

وذكر ـ أيضاً ـ قوله:«إن الله لما خلق آدم قال له ويداه مقبوضتان :اختر أيهما شئت. قال: اخترت يمين ربي، وكلتا يدى ربي يمين مباركة»[9] ،وحديث: «إن الله لما خلق آدم مسح على ظهره بيده»[10] إلى أحاديث أخر ذكرها من هذا النوع.

ثم قال البيهقي: أما المتقدمون من هذه الأمة، فإنهم لم يفسروا ما كتبنا من الآيات

---

(١) البخاري في الرقاق (٦٥٢٠)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٧٩٢/ ٣٠) عن أبي سعيد الخدري.
والخُبْزَة: هي عجين يوضع في الرماد الحار حتى ينضج. انظر: القاموس المحيط مع شرحه، مادة «خبز».
والمعنى : أن الله يميل الأرض من يد إلى يد حتى تجتمع وتستوى كالرغيف العظيم، ويكون ذلك طعامًا نزلا لأهل الجنة. انظر: تعليق عبد الباقي على صحيح مسلم.

(٢) البخارى في التوحيد (٧٤٩١)، وأبو داود في الأدب (٥٢٧٤)، عن أبي هريرة.

(٣) البخاري في الرقاق (٦٥٣٠) عن أبي سعيد الخدري ، ومسلم في صلاة المسافرين(٧٧١/ ٢٠١) عن علي بن أبي طالب.

(٤) مسلم في الصلاة (٤٢٦/ ١١٢) عن أنس .

(٥) مسلم فى التوبة (٢٧٥٩ / ٣١) وأحمد ٤ / ٣٩٥ .

(٦) مسلم في الإمارة (١٨٢٧/ ١٨) ، والنسائي في أدب القضاة (٥٣٧٩)، و أحمد ٢/ ١٦٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٧) مسلم في صفات المنافقين (١٧٨٨/ ٢٤)، وأبو داود في السنة (٤٧٣٢) عن عبد الله بن عمر.

(٨) البخارى فى التفسير (٤٦٨٤) ومسلم في الزكاة (٩٩٣ / ٣٧) .

(٩) الترمذي في التفسير (٣٣٦٨) وقال: «حديث حسن غريب من هذا الوجه» عن أبي هريرة.

(١٠) أبو داود فى السنة (٤٧٠٣) والترمذى فى التفسير (٣٠٧٥) وقال : « حسن » .

والأخبار في هذا الباب، وكذلك قال في «الاستواء على العرش» وسائر الصفات الخبرية، مع أنه يحكي قول بعض المتأخرين.

وقال القاضي أبو يعلى في كتاب «إبطال التأويل» :لا يجوز رد هذه الأخبار ولا التشاغل بتأويلها ، والواجب حملها على ظاهرها ، وأنها صفات اللّه، لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها ، لكن على ما روى عن الإمام أحمد وسائر الأئمة.

وذكر بعض كلام الزهري،ومكحول، ومالك، والثوري، والأوزاعي والليث، وحماد ابن زيد، وحماد بن سلمة، وسفيان بن عيينة، والفضيل بن عياض، ووكيع ، وعبد الرحمن بن مهدي، والأسود بن سالم، وإسحاق بن راهويه، وأبي عبيد، ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب. وفي حكاية ألفاظهم طول. إلى أن قال :

٥/٩٠ / ويدل على إبطال التأويل:أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها، ولم يتعرضوا لتأويلها ولا صرفوها عن ظاهرها، فلو كان التأويل سائغا لكانوا أسبق إليه؛ لما فيه من إزالة التشبيه ورفع الشبهة .

وقال أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري المتكلم صاحب الطريقة المنسوبة إليه في الكلام، في كتابه الذي صنفه في « اختلاف المصلين، ومقالات الإسلاميين» وذكر فرق الروافض ،والخوارج، والمرجئة، والمعتزلة وغيرهم.

ثم قال :(مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث) جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة: الإقرار باللّه وملائكته، وكتبه ورسله، وبما جاء عن اللّه تعالى، وما رواه الثقات عن رسول اللّه ﷺ، لا يردون شيئا من ذلك، وأن اللّه واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النارحق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن اللّه يبعث من في القبور ، وأن اللّه على عرشه، كما قال : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ**﴾[طه:٥]، وأن له يدين بلا كيف، كما قال: ﴿**خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾[ص:٧٥] وكما قال:﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[المائدة :٦٤]، وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا** ﴾[القمر:١٤]، وأن له وجهاً كما قال : ﴿**وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:٢٧].

وأن أسماء اللّه ـ تعالى ـ لا يقال:إنها غير اللّه،كما قالت المعتزلة والخوارج.وأقروا أن للّه علماً، كما قال:﴿ **أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ**﴾[النساء:١٦٦]، وكما قال :﴿**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا**
٥/٩١ / **تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**﴾[فصلت:٤٧] ،وأثبتوا له السمع والبصر، ولم ينفوا ذلك عن اللّه كما

نفته المعتزلة، وأثبتوا للّه القوة، كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾[فصلت: ١٥]، وذكر مذهبهم في القدر. إلى أن قال:

ويقولون: إن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، والكلام في اللفظ والوقف، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال: غير مخلوق، ويقرون أن اللّه يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون؛ لأنهم عن اللّه محجوبون، قال عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وذكر قولهم في الإسلام والإيمان والحوض والشفاعة وأشياء. إلى أن قال:

ويقرون بأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ولا يقولون: مخلوق، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار. إلى أن قال:

وينكرون الجدل والمراء في الدين والخصومة والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم، ويسلمون الروايات الصحيحة كما جاءت به الآثار الصحيحة التي جاءت بها الثقات عدل عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول اللّه ﷺ؛ لا يقولون: كيف، ولا لم؛ لأن ذلك بدعة عندهم. إلى أن قال:

٥/ ٩٢ ويقرون أن اللّه يجيء يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأن اللّه يقرب من خلقه كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]. إلى أن قال:

ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار، والنظر في الآثار، والنظر في الفقه، مع الاستكانة والتواضع، وحسن الخلق مع بذل المعروف، وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والشكاية، وتفقد المآكل والمشارب.

قال: فهذه جملة ما يأمرون به ويستسلمون إليه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب، وما توفيقنا إلا باللّه، وهو المستعان.

وقال الأشعري ـ أيضًا ـ في «اختلاف أهل القبلة في العرش» فقال: قال أهل السنة وأصحاب الحديث: إن اللّه ليس بجسم، ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، ولا نتقدم بين يدي اللّه في القول، بل نقول: استوى بلا كيف، وأن له وجهاً، كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وأن له يدين، كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له عينين، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر: ١٤]، وأنه يجيء يوم القيامة هو وملائكته، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وأنه ينزل إلى سماء الدنيا كما جاء في الحديث[1]، ولم يقولوا شيئاً إلا ما وجدوه
٥/٩٣ /في الكتاب، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ. وقالت المعتزلة: إن الله استوى على العرش؛ بمعنى استولى. وذكر مقالات أخرى.

وقال - أيضاً - أبوالحسن الأشعري، في كتابه الذي سماه «الإبانة في أصول الديانة»، وقد ذكر أصحابه أنه آخر كتاب صنفه، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه، فقال:

«فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة»

فإن قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكلام ربنا وسنة نبينا، وما رُوى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل - نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته - قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم!

وجملة قولنا أنا نقر بالله وملائكته، وكتبه ورسله، وبما جاؤوا به من عند الله، وبما
٥/٩٤ رواه الثقات عن رسول الله ﷺ، لا نرد من ذلك شيئاً،/ وأن الله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾[الفتح: ٢٨]، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله مستوٍ على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وأن له وجها، كما قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يدين بلا كيف كما قال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص: ٧٥]، وكما قال: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾[المائدة: ٦٤]، وأن له عينين بلا كيف، كما قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾[القمر: ١٤]

(١) سبق تخريجه ص ٣٨.

وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا، وذكر نحوا مما ذكر في الفرق إلى أن قال:

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيماناً، وندين بأن الله يقلب القلوب بين إصبعين من أصابع الله ـ عز وجل ـ وأنه ـ عز وجل ـ يضع السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، كما جاءت الرواية الصحيحة عن رسول الله ﷺ. إلى أن قال:

وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله ﷺ، التي رواها الثقات عدلا عن عدل، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ ـ إلى أن قال: ونصدق بجميع الروايات التي أثبتها أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب ـ عز وجل ـ يقول: «هل من سائل؟ هل من مستغفر؟» (١)، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافاً لما قال أهل الزيغ والتضليل.

٥/٩٥ / ونعول فيما اختلفنا فيه إلى كتاب ربنا، وسنة نبينا، وإجماع المسلمين وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا به، ولا نقول على الله ما لا نعلم.

ونقول: إن الله يجيء يوم القيامة، كما قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وأن الله يقرب من عباده كيف شاء، كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾[ق: ١٦]، وكما قال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ . فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾[النجم: ٨، ٩].

إلى أن قال: وسنحتج لما ذكرناه من قولنا، وما بقي مما لم نذكره باباً باباً.

ثم تكلم على أن الله يرى، واستدل على ذلك، ثم تكلم على أن القرآن غير مخلوق، واستدل على ذلك، ثم تكلم على من وقف في القرآن وقال: لا أقول: إنه مخلوق، ولا غير مخلوق، ورد عليه. ثم قال:

« باب ذكر الاستواء على العرش»

فقال: إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله مستو على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[طه: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾[السجدة: ٥].

٥/٩٦ وقال ـ تعالى ـ حكاية عن فرعون: ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ . / أَسْبَابَ

(١) سبق تخريجه ص ٣٨.

السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾[غافر: ٣٦، ٣٧] كذب موسى في قوله: إن اللّه فوق السموات، وقال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ﴾ [الملك: ١٦].

فالسموات فوقها العرش، فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]؛ لأنه مستو على العرش الذي هو فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء فالعرش أعلى السموات، وليس إذا قال: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾[الملك: ١٦] يعني جميع السموات، وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى أن اللّه ـ عز وجل ـ ذكر السموات فقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾[نوح: ١٦]، ولم يرد أن القمر يملؤهن وإنه فيهن جميعا.

ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن اللّه على عرشه الذي هو فوق السموات، فلولا أن اللّه على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض.

ثم قال:

فصـــل

وقد قال القائلون من المعتزلة، والجهمية، والحرورية: إن معنى قوله: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: أنه استولى وقهر وملك، وأن اللّه ـ عز وجل ـ في كل مكان، وجحدوا أن يكون اللّه على عرشه ـ كما قال أهل الحق ـ وذهبوا في/ الاستواء ٥/٩٧
إلى القدرة، فلو كان كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن اللّه قادر على كل شيء، والأرض، فاللّه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان اللّه مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء ـ وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها ـ لكان مستويا على العرش، وعلى الأرض، وعلى السماء، وعلى الحشوش، والأقذار؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها.

وإذا كان قادراً على الأشياء كلها، ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن اللّه مستو على الحشوش والأخلية ـ لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص العرش، دون الأشياء كلها. وذكر دلالات من القرآن والحديث، والإجماع والعقل.